شبكة الألوكة

المكتبة الأزهرية

مخطوطة

فصوص الفصول وعقود العقول

المؤلف

ابن سناء الملك

وقفيه تبع برواق المغاربه

كتبه الفقير علي السوسي

علي بن أحمد [illegible]

١

على وعلى أبي وجدي وإنها لو لم يكن من ذلك الكتاب الجليل ولا من ذلك
الطراز العالي لكان الفخر بها عظيما والقدر سنيا والقيمة غالية والدرجة
عالية ولا سيما وهي المعجز الباهر والعلم الظاهر والحلال الحلو البارد
العذب والياقوت الصلب واللؤلؤ الرطب فلا غرو أن أستخرجها
من ذلك المعدن وأستافر بها من ذلك الموطن وأجلو عقائلها على
الأعين وأجري محاسنها على الألسن وأذيعها وأشيعها وأنشرها
وأبثها وأدونها وأدندن بها وأطلع بها الشمس من مغربها
وأكاثر بها وأفاخر وأباهي وأناظر وأشيد بها على دهري وأبناء
دهري وأعرف بها قدري من كان جاهلا أو متجاهلا بقدري وأنوه
بها ذكري فإنها الذكر الذي يتلى وأحلي بها نحري غاية الفخر الذي في
لا يبلى وما جرتها تحبيرا والبستني منها حبيرا الأمن سبق القول
بأنه لا يجارى ولا يجانس ولا يبارى ولا يدانى ولا يدارى ولا يقول
إلا الصحيح ولا يعدل إلا العدل ولا يجرح إلا الجريح وكيف يجاري

٨٠٥٢
٩٧٩٩٦٤
أدب ٦

او يحاشيني وهو المخدوم وانا الخادم وهو المتبوع وانا التابع وهو
الغني وانا المحتاج اليه وهو المعطي وانا الآخذ منه وهو الاستاذ وانا
التلميذ له والمتعلم منه وما انتزعت تلك الفصول المسطرة في هذا
الكتاب الا من كتبه التي هي بخط يده وبخط كتابه الحكام والقضاه والعدول
المعروفين بخدمته والموسومين بكتابته وهي عندي حاضرة وفي
الوجود موجودة باسرها وكل ما رايته رحمه الله يا اخي ينقسم قسمين قسم كتبه
الي وقسم كتبه في فاما ما كتبه رحمه الله الي فهي كتب كاملة ابتداات واجوبة
فقد جعلتها في جزء غير هذا الجزء مفرد واما ما كتبه رحمه الله في فهي فصول
تضمنتها كتبه الكريمة الى المجلس العالي الاشرف البهائي ولده ابقاه الله تعالى
والي رحمه الله ومن سلك اثرهما من كتبه الى ما بين الحضرتين واودعتها
هذا الكتاب وهذه الفصول المنتزعة تنقسم الى قسمين قسم
اول مقصور على وصف رسايل المرسلة اليه ومدح قصايدي المتمدح
بها والممدوح منه وقسم ثان مقصور على الثناء علي وعلى ولدي رحمه الله
وولدي ابقاه الله كان يحصل مثل ذلك الثناء ختام كتبه وبلغه

الينا قبل لسان قلمه لسان علمه وقد دونت الجميع وخلدت في الدنيا
من تلك الفصول فصل الربيع وجددت على باطنها ما الجديد وخلعت
على الناس الخليع وربما اتبعت بعد الفصول بكلام من رسايلي التي كان
بعض هذه الفصول جوابا عنها او ابياتا من قصايدي التي كان ذلك
الفضل بدها لها ليعلم انه رحمه الله كثر قليل ويمن قليل وتحمل
فضل واعطاني ما لا استحقه من المدح ومنحني ما لا استوجبه
من الوصف ورفع اقوالي فوق قدرها ودفع لعقايل فوق
مهرها فضلا منه ومنا واحسانا وحسنا سقى الله ثراه
واكرم مثواه ولقاه تحية وسلاما وجعله في الاخرة للفايزين
اماما كما كان في الدنيا للمتقين اماما
بسلام وريحان وروح ورحمة عليه وممدود من الظل سجسج

القسم الاول فصل من كتاب مولانا الاجل الاشرف
بها الدين ادام الله نعمته ووفى بهجته تعرف القاضي السعيد
وصول كتابه المعطوف على الغايبة الوفاية وقبلها وصلت

السنية الشنية وما رأينا من آية الا هي اكبر من اختها ومثل
يجلو طلبنا عروسا الا وقد جمع بين حسنها وبختها وقل ما يجتمع
الحسن والبخت ولهذا قيل وقد تمنى المقبلة بالطلاق وغنا بسله
المليحة لا تطلق ولا تطلق وقد علقت العرب ادون منها فلا غرو ان
بهذه في القلوب تعلق وبالضلوع تعتنق فالمعلقات بعدها زادت على
عدتها وفضلتها بهذه بجودتها وجدتها فاما القافية فالواو اعلم
ما ما ومن هو الواو الركيك بل كل شاعر مثلق على حروف المعجم عندها
ما ما واوجه الحساد عند سماع قوافيها اعما ولو وقف بها منتطح
عند الوقت ولو كل هو اشى ابنيه لكعت ولو استعطفت الفصاحة
على الالسن العيية بكلمة فصيحة منها لعطفت وانعطفت ولو ان
البلاغة حلة لكان لابسها ولو ان الشعر آحلبه لكان فارسها وقد انجب
الزمان الذي ولده وفخر الوالد الذي قضى حقه اذ احبه بل لو ان عبده
وما انصرفت عن بيت اشهد له بالسبق الا استانفت بيتا لا
اشهد له بانه الاحق فكل يدل الغالب بحجة ويقدم عليه مقتض لسده

ومستظرف بحجة ولو ساعدني الخاطر والوقت الضيق لوصفتها:
مجتهدا واطنبت فيها محتشدا وتجردت لكشف محاسنها متجردا
وانبهت على عيونها وكلها عيون معددا ثم لست احتاج الى العذر والتمس
منه ان يساعدني حظه على ما يستحقه من معاني الشكر ولكنه قد علم الله
ان الخاطر مروع وان الدهر قد تفنن في مكروهه وتنوع وان العلم
يكتب بدربته ويرتل بنفسه على تجنبه ويسحب على ام راسه وناخذ
العجلة بمضايق انفاسه فلا يرجوا مني غريبا اذا استمطرني فلا جرم
ان غريبة ما طالبني قط فانظري فاني اتي بالغث لاعواز السمين
واتسع بالمبتذل واسكن على ما سمحني من المصون الثمين والقصيدة
الاولى السنية ما وافيتها كما ذكر القاضي السعيد رحل في طريقها
بل بقوم المشتري لحسن الغمام في قضاء حقوقها وثم حرمت عندي الى ان
سيرتها مقترنة بالقافية لتكون البلاغة اكثر يسيرا ويكون بعضها
لبعض ظهيرا ولو انصفتها لكان ادنى ما فيها من بيت بعشر الف
بيت وكان يوسف عروسها قد قال لها واعناها ان يقول لها بيت

وقربها بفضل الى المقام الناصري بعث منه على انها من القول الفصل
واقمت الشهادة في بابه بانه وان كان صغيرا فانه كبير اهل الفضل الذي
علمهم الفضل وان الدولة بهجة قد من الله عليها ان الغايبين واثنى لها
ذكرا حسنا في الذاكرين وخلد ماثرها ولا تزال طايرة على النشر الاثرين
ومن جميع الجواب الكتاب وتفوح من مسك ما سقيناه قصيدتاه من
الشراب الذي يلعب بالالباب وتقف حيث انتهينا من الوصف الذي تستعد
للمحاسن التي لا تستعد لها الا بهدية القران حاديث الاعتنا فلت
هذا الفصل جواب عن كتاب كتبته اليه رحمه الله وقصيدة فايية هنات بها
الملك الناصر بالعافية من مرضته المشهورة واول القصيدة المذكوره

نظر الحبيب الي من طرف خفي فاك الشفا لمدنف من مدنف
ودنا فسكن نار قلبي خده اسمعتم نارا بنار تنطفي
لا ارتضي بالشمس تشبيها بها والبدر لكن اكتفي بالمكتفي
مثلوا لما احسنها محاسن وجهها فتشريك محجابة في الزخرف
وتقول من هذا وقد سفكت دمي ظلما وتسال عن فؤادي وهي في

انت الحبيب عطفت او لم تعطف وانا المحب صدقت او لم تصدق
ماذا لقيت من الصدود لانني القى حشو ثوبه بقلب مدنف
والقلب يحلف انه يسلو اثم لا يسلو ويحلف انه لم يحلف
فشما اقول لقد سلا وسلوه فرح لان جا البشير بيوسف
جا البشير بيوسف يمشي على اثر البشير بيوسف او يقتفي
كان الملاطف كالقميص اما ترى ابصارنا ردت لنا بملطف

واما القصيدة السينية المشار اليها فكنت مدحت بها الملك الناصر رحمه الله قبل هذه القافية ارسلتها اليه وكان بدمشق والملك الناصر بحران فاخرت انفاذها اليه لاجل المرض الذي كان فيه فلما عوفي وكتبت هذه القافية اشرت في كتابي الى السينية وتاخيرها بان علمت ان تلك القصيدة صادفت رجل الطريق وجرى بها التوفيق فلهذا اجاب عما تضمنه الفصل من هذا المعنى

واول السينية

اتجلس للهوى لعرسي منا بمجلس لا وحشتا لما غاب ان غاب مونسي
وما كان ليلا فاز بالبدر مقمرا ولكنه من مخجل الشمس مشمس

وبي ملك الحسن الذي الحسن قصره وقلبي له في ذلك القصر مجلس
يصد امري حبون فيا من شرى الصبا بسبق والصبابة تحبس
وحلفني ان لا انام فؤاده تتبرع طرفا انسه لعين ينعس
ويلبس ديباج الثياب مصورا ومن فوقه ديباج خديه اطلس
وجارية تحكي الجوار لحسنها الم يعلموا ان الجوار كنس
تنزه طرفي منها وجهها فهو جنة ويخضر منها الصدغ فهو سندس
ويصبح مثلي حليها عاشقا لها الست تراه اصفرا يتوسوس

ولهذه القصيدة قصص وقصص وجاءت عنها منه رحمه الله اجوبة ستجي بها بعد وعند مجيها اذكر ان الخيار من غزلها ومدحها فصل من كتاب الى مولانا الاشرف بهاء الدين ادام الله نعمته واما اعتذاري عن مطالعة السعيد في نوبة فارقني ما ارقني واوجلني ما وقذني فهذه حجة ملفقة على انها مانة بملاء النجم ولكن سحر البيان وما احق اقواله بان توصف بما وصف به ابن المعتز كاسه بانها نيجان تحكم عقد اللسان وقد عقدت لساني عن عتبه بالنجم من كتبه فاني لما قرات كتابه وما لمت بصلته التي اعتذر بها عن فراقي وقربه مني وتركه ابدا اشواقي احق بالطوافي كنت كلما قرات فصلا او بيتا

قد غلت عندي معلمات ان اقوالهم في التعاثات في العقد وان من وجد منها مسا وجد فقلمه ما فقد ومامر بى الاحوان يقضي عليا بالمحتوم وهو حاضر بحضرتي فينشد بتجرع حسرتي دون انشرح وبذا اعذرا استحى ان يقوله مقلته عينه وخجل ان يحمله عذرا فعذرته عند يقتني به ما علمه والله عتب ولا الذنب فمن اين للوجه المليح ذنوب وودت لو كان البحتري حيا وكنا نلم تلك القصيدة بحجة وكانت بابنة تغض من بابها وعجبها ونستشير الادراك في حجتها وكنا نعلم اي الزينبين هي الخلوب وايهما احق بسلب القلوب ولا شك ان الغالبة هي زينب الغالب وهو صاحبنا والمغلوبة هي زينب المغلوب وقلت كنت في سنة ثلث وثمانين وستمائة قد قصدت الزيارة القدس ثم تشوقت منه الى زيارته رحمه الله بدمشق فوجدته مريضا مرضا شاقا في خطة صعبة ومن حاله مخطرة فخشيت ان اقيم فيجري من المحتوم عليه ما لا طاقة لي بمشاهدته فاقمت عنده اياما قلايل واعتذرت اليه بابياتي

جبن مزعج وحديث مقلق فاعطاني دستورا بالعود عن نقش عز طيبه وعلى كراهية عن جافيه فلما عدت ومن الله تعالى بعافيته كتبت اليه كتابا ونظمت فيه قصيدة اعتذرت في كل منها واستعفي من التقصير عن خلوته

من جنسه فاما قصيدة البحتري البائية فهي [illegible] اولها

اجدك ما ينفك يسري لزينبا خيال اذا آب الصباح تأوبا

واما قصيدتي فهي [illegible] اولها

تذكرت ايام الصبابة والصبا وعيشا مليحا بالمليحة معجبا

وثوب نعيم لا يحل لباسه لذي ورع لابسته كان مذهبا

وبدر منير الحلا يحمر خده بالتحيي ويجري الماء منه لمشربا

ومن خده يحمر ياقوت عقدها ويبيض اما خجلة او تهيبا

ابو ثغرها الدر الذي في عقودها ولكن رايت الابن عد فضل الابا

سقى الله ايام الشباب بدامعي على زينب لا واخذ الله زينبا

فذاك زمان كل عيش به رضى وكل نسيم هب من صبوة صبا

وتضحي جبى كل ضامرة الحشا وتنعم عيني كل ناعمة الصبا

تكاثر ثم الغانيات لعارضي وكدت تراه بالمباسم اشيبا

يعللني عن قبلة الف قبلة وخلا في شرع الهوى ذلك الربا

منها في الاعتذار والمدح

اساءت بي الامال غارت بحوتها ولا انزعت من ملبس الحزن غيهبا

وهنا مروا والعذار

٦

ويا ليت شعري حين ما استكلها اخاطب مسرورا ام اعاتب عتبا

نايت فيا شوقاه عن ابيض الحجى وشرت فيا لهفاه عن احضر الربا

عن ال الاله الملال رايا وحكمة وافضلهم علما وحلما ومنصبا

تجوب بلوك الارض اقصى بلادها لماب نرالها فيه حسري ولغبا

رايتهم يأتون منه معظما وابصرتهم يبنون دون المحجبا

يطوف بسلطانه للشمس منصب كان فيه للسحائب مسحبا

اقمت به بين البشاشة والقرى وان شئت قل بين الحبة والحبا

اعاني للاموال بذلا مغضبا والثم ثغرا للاماني اشنبا

واوصل ارفا كان من قبل قد نأى وانهض جدا كان من قبل قد كبا

واشفع حتى لا ترد شفاعتي ولو في اذا اصبحت بالبعد مذنبا

وكم سني من نعمى سلا ونعمة وكم قيل لي اهلا وسهلا ومرحبا

فلا بد ان ال المهلب ذاكر فقد جاز بنشيهم والمهلبا

فيا حبذا اذ كنت في الخلد حاضرا ويا اسفي اذ كنت عنه مغيبا

بنشوا اختيار كان لي عنك مذهب على ان قلبي لم يجد عنك مذهبا

ولولا الى ما كان لي عنك مرغب ولبغداد عن جنة الخلد مرغبا

الألوكة www.alukah.net

وكم لك لو اسمو بحقي نعمة مننت بها لو شئت سميتها ابا واعدنا
وبعد ابي كم نعمة منك نلتها فالفيتها احنى وامنى واعجبا
ولو عدت بالملك العقيم وانني رجعت به ما نلت الا محببا
رجعت لعصر الراحتين وراحتي اذا ضاق صدري ان ابكي واندبا
واطلب بعد البين شملا منظما واطلب بعد الصبح نجما مغربا
امول الموالي ان تقصدني شكوتي لسري لا اشكوت لنظربا
اقلني اقلني تبت توبة نادم لترضى ولم اذنب بحبل التغضبا
ولا طمعي في حسن الرضا صادق وما طمعي في حسن الرضا استعتبا

وانا اذكر انه كتب فصلا اخرجوا باعز هذه القصيدة الى رحمه الله الا اني وقت هذا البدون ما وجدته ومتى وجدته اضفته

فصل من كتاب اخر الى والده بخط يده الكريمه ووقفت على الكتاب السعيدي اسعده الله وداوى جراح خاطري ما فيه من الغرائب التي انشا من انشآت تجعلهن ابكارا وعرفت بهن وكان العرف منهن انكارا وصافح الاسماع منها بما لم يخطر على الاذهان وحسر قلمه عن ساعد البيان فجاء بالنجم مقصودا من الافق

يتعلق ببعض وهو موجود في كتاب مصايد الشوارد فمن اراده فليقف عليه من ذلك الكتاب ان شاء الله

فصل من كتاب له الى والده بخط ابن زكي الدين وقد عادت على الكتاب بركة شيخك القاضي السعيد فما اشتملت من يوم الملك ما تكتبه ومثل لك ما تمثله الاعلى بشارة ما اي من لفظ بشارته حسنة وحلية مستحسنة وعلى ذكره وذكره مقصود لا مذكور بغيره ورد لي منه كتاب وردت في دورته وقراني وقرانه وبعض تصرفات عجيبة احدثها الحدثان واعرب بها الزمان وما احسب ان كتابة هذا والكتاب الذي ورد بخبره ابن بدر ان اشتملت بشيء من التشبيه ولا تاريخ من تواريخ الزمن الذي عشر مثل هذه الروايع ولا على نظير هذه الوقايع ولست قد امري ان انقل اليه غرايب الاخبار المستطرفة والكواين في البلاد النازحة والاقطار الشاسعة لعلها في تعليقه الذي يعلق فيه كل ما يتجدد من الاحوال يوما يوما بل ساعة ساعة وله في كل سنة تعليق يستفتحه باستفتاحها ويختمه باختتامها واعلم انه شرع في ذلك من سنة سبعين وخمسمائة والى حين وفاته في ليلة السابع من شهر ربيع الاخر سنة ست وتسعين وخمسمائة ثم ما انهيه اليه واجاب عنه بذلك الجواب اخبار مغربيه سمعتها من   الخلافة بدنا انصديق لما وصل من المغرب وكان قد سار اليه ومعه جماعة من اهل بلاد الترهم ولم يعد من راح معه الا

واحد منهم عاد قبله وعاد هو بعده فمما كتبته في معناه اليه قد سيرت الملوك
اخبار الملوك بالتعليق وهي اخبار مغربية وردت على لسان بقية السلف من
اهل الملوك الذين قبلوا بالمغرب وحال الاجل بينهم وبين ما املوه ولم
ينشد احد منهم واعلم قوما حالوا النوى وشرقوا وغربت اني قد ظعنت وحانوا
الا ان هذا الواصل الخلاف من بدر ان فانه وصل سالما ولكن بعد ان خاض
الاخطار وجاب الاقطار وجاس الديار وشب في شرى الليل وطغا
في شمس النهار وبعد ان غرب حتى لم يجد مغربا وبعد ان اوشق الركاب
ذهبا وبعد ان سلك الجمع عطبا وبعد ان قضت منه ملوك العرب اربا
وبعد ان تجابر اسد هربا وبعد ان راى من الدهر وراى منه الدهر عجبا
وهذا الرجل قومن دين لطيف اعانه على قران وحسنه له وحمله عليه
اولئك المساكين الذين خابوا وطنوا وافتقروا واستغنى وابعدوا
وتقرب وتاخروا وتقدم وقتلوا وسلم ودب ساع لقاعد وسامر لراقد
وخرج ملكهما مجبرا مجتنا مجبرا ووصل كاتبه من الطريق من جابا الملوك الخادم
للجانب النادم فها هو الان وصل الى صاحبه وجده قد علا وافيا لما قد
قيل وسعده قد اسعد وشخصه قد على القلوب ولا سيما

قلب المحبوب وفي قصصه عبرة وفي خبره ما يزيد العاقل بالايام
خبرة وقد كتب للملوك ابدا ما شعره وان كان الكرم واظرف مسولانا
التي منها ما هو كالنهار اذا تجلى ومنها كالليل اذا يغشى
فصل من كتاب الى الاجل بخط يده ورد كتاب القاضي السعيد وقصيدة
وهي قصيدة فريدة صارت تطرق البلغا بعدها طرائق قددا وان قلت
انها نادرة فالنادر نادرت قايلها او فانها لا تحتاج الى انسان
راويها ولا الى يد قايلها فهي تدل على نفسها باشراق شمسها ولا تزال
جديدة كل الايام يوم فلد وبها وكل الليالي ليلة عرسها وما بعدوا
ان ذين على العقول كانا لا لحبي الحديث في طريق فهما ما يجي
الحديث في طريق الكاس من حسنها وما رايت احسن منها الا الذي
اراه بعدها ولا وقفت له على ما ظننته يقف عنده الاجابات بعده
اخرى لا يقف عندها ولولا ان افطن الدهر بمكانه من قلبي وحوا في
ان اعرفه بحسنته منه فاغربه فيها بزفع اوزار حرب لقلت فيه
قولا يغص الاولين والاخرين من اهل هذه الصناعة واتعذب فيهم

شهامًا لا يحمي منها شاعر اصحرة وجه ولا كاتبا درع دراعة بل ما كنت
اقول فيهم الا لا عضهم ان انصفوا او لا غيظهم ان عرفوا بل ما كنت
اغلب الا مغلبا يتبجح بالقصور عن اباده المداد ويتمدح بالتاخير عن
مضمار البعيد ومن مزية الشجاع فما سلبه حظا من الشجاعة وانما
تتفاوت قدر البراعة ولو ان له نطق الفلك انه الان واحد
الجماعة ولو ان لهذه الصناعة طلبة لقلت انه الان على العضا صدر من
عصمه شيخ الجماعة وعلى الجملة فمع ابقى لنفسه ولوالده ذكرا اجله في
معقل باق على الايام لا يملك ولا يهدم ولا يحصر ولا يسلم ولا يبلغه
حبل الطلب ولا تغير عليه خيل النوب وهو بالحقيقة والد والده
وواحد دهره لا خلا من واحده وانا شديد الابتهاج بكل ما يرد
من نتايج خواطره ودايم الشكر لما ينتظم الي من عقود جواهره لاني
ارى نفسي ابا له من حيث الوداد كما ترى الحضرة نفسها ابا له من حيث
الولا والله تعالى يمتعنا به معا ويسرني بغرة مراه كما سرني بكتبه
مشبعا ولو كان ما عرضه من زيارته وسمحت به الحضرة من مفارقته

والتشوق في اولها ومن قبل بلوغ اخرها لكانت منه لا احطها
الا ان تعرض ومسرة لا اعلم منها الا ان تنهض فيها من كرهه ما
ينهض وانا الان بين اثنين احدهما يشير بالمسير الى مصر متزودا
منها ومودعا والاخر يجذب الى الشام على كوني منه متقبضا
مجتمعا فان الاقامة بمصر لا ارى امرها ممكنا واستمرار المفارقة للاهل
لا ارى الا خشنا والله في كل يوم يحدث شانا ولست

هذا الفصل جواب عن كتاب عطفه على قصيدة انا اذكر ابياتا منها اولها

لو واصلتني يوما لم امت ابدا ولم تصلني فما موتي بها كمدا
لمن اوصي بميراث الغرام بها ام بهات هيهات لا ارضى له احدا
ومن غرامي دموع ما لها عدد وكيف احصي بما لم احصه عددا
وان تشككت اني قد قتلت بها فاستفت الدل او فاستشهد الغيدا
ثغرتما وحياها وقامتها كانوا على كما شاء الهوى لبدا
وقد تحزبت تلك العين لي فرمت كما احرقت بنار الخد لي كبدا
ولعين تبغي فانما حجة لدي وحديها عند قاضي الحسن قد شهدا
رايت كل عجيب من ملاحتها حتى رايت بها الحر والبردا

من علّم الظبي لولا طرفها حوراً وعلّم الغصن لولا قدّها ميدا
لم يبد للبدر إلا واستحى خجلاً والنرجس الغضّ إلا واشتكى رمدا
وعينها وهي لا تدري وإن قتلت أعزّ عندي من طرفي وإن سهدا
قولوا لجنة عدن وهي غالية ما لي رأيت نعيمي فيك قد نفدا
قالت فإن تحسبني نعمة حسدت فإن أردت وصالاً لي فكن حسدا
وأنت يوم ندى بالدمع تهطله وقل ما اجتمعت شمس ويوم ندى
ما أطرف الطرف من يوم رؤيتها كبراً ولكن لذاك الحسن قد سجدا
كذاك قلبي لم يخفق لها فرحاً وإنما خاف يوم البين أن يفقدا
يا للحب يرجع عبد الحر سيده ويجتري الظبي حتى يفرس الأسدا
قالت تسلون وما أدري أعلمها بذاك دمعي أو أنفاسي الصعدا
منها كالبحر حين طمى والغيث حين همى والنجم حين سمى والبدر حين بدا
في الدست يقعد والأقدار قائمة من شأنها بقعوده المقعد كما قعدا
تأتي الملوك إلى أبوابه زمراً ويدخلون ركوعاً كلهم سجدا
قد آنسوا نار موسى من بديهته فما يجيئون إلا يقبسون هدى
ومنها في شوقه وسؤاله الفسحة له في زيارته

لم يبق بعده قلباً ولا كبداً ولا جفوناً ولا صبراً ولا جلدا
وعند قوم على حرب النوى عددٌ وليس يحسن قلبي ينقل العددا
يا ظاعنين لقد قصّرتم أملاً يا غائبين لقد طوّلتم أمدا
أما تشوقتم مصر التي شغفت ولا مللتم من الشام الذي سعدا
يا مالك الحسن لم صبّرتها بدلاً وأخذ القلب لم لا تأخذ الجسدا
تركتني حائراً في الدار مغترباً في الأهل مستوحشاً في الخلق منفردا
كم اجتهدت بجهدي في اللحاق به فقد أصاب ولو أخطأ من اجتهدا
وعدتنا بنجوم السعد طالعة فينا ومثلك من أوفى بما وعدا

فصل آخر من كتاب إليه بخط يده وأما دخولها بكتاب القاضي السعيد أقرّ الله عينها به وقد فعل وصرف عنه عين الكمال فإنه قد كمل في هذا القبيل فإن بها زحاماً لا يكاثر هذا المنكب ونور يشرق لا يدخل عليه دجى ذلك المغرب وقد وقفت عليه وهو يحتاج إلى زيادة تأمل ليظهر بالاستشفاف ظهور جوهر الشفاف وأنا وا من انفعال الخاطر واستغلاقه وتشعب الفكر واستغراقه على حالة تحجب معها ويسقط بها الحجى ولا سيما مذ تجدد هذا الفصل الذي كثرت وطالت فيه الأعلال ثم اختص بها على الناس الأجال ثم ا الأبطال الشجعان الجهال ثم أردفها الغلا الذي أرباب الأحوال منه بحال ثم استلوحت أنا الإقامة بقية الشتو على ما لا مقام عليه لأمثل

الاخيار ولا لاهل الاصطبار ثم دفعت الى منزل السعيد ما كنت الشبيبة من
الاشغال المستوعبة لليالي الشتاء الطوال وايامه التي هي قصيرة مع شقاوة
الغلا وتحمل الاثقال ومع تكاليف تضيق بها صدر المشغول ولا تتسع لها الاموال
فيما يذود القول اقله وفيما يجوز بالخاطر وحسبه وبطله ويشهد انه لا يهدى
الا من يهدى الله الى رشاده وانه لا يقدر المرء ولا يملك لنفسه امرا باحتيال له
ولجهاده ومحاسن هذا القاضي حفظ الله كما تحفظ وابقاه كما تبقى على الايام
ولا تلفظ ملة كما ان البدور نامية تما الاهلة مستقلة محاسن الاولين
دونه مستقلة وفيها عيادة من مرض الاشى ومسيه وعذر اليوم وصولها عن
مرض الاشى ذنب عذره وامسه فزدنا من حديثك يا سعد
ومن من الانفاس من جدا فانها كالحياة وانتشاقها وكاخلاق الحيا
وانطلاقها وكالكواكب السايرة التي لا يبعد عنها في مسار اشراقها ومطالع
اتفاقها قلت هذا الفصل جواب عن كتاب شد عني والشبيه حين كانت
ماض نوب فصل من كتاب اخر اليه بخط يده وقفت على كتاب
القاضي السعيد مسرورا بما وفقه الله من بلاغة تتم على فضله اذا البس للشبه
المتجمل واذا اطرح الكلفة فلبس لبسة المتفضل وهو بيان تكاد تتم على
المدوح بغير فعله خدعه كان كاتبه قد على قرايح العقرح جدعه

11

والله يرتهما فيه نعمة الدوام وقد زادت فيه نعمة التمام قلت هذا
الفصل جواب عن كتاب كتبته اليه على وصف انسان زعمه كثير من فضوله
واما فلان فما يدري الملوك اعلمه ارجح ام عقله ام دينه ام تعففه ام سلوته
ام نسكه ام زهده ام صبره ام شكره لو لم يقصد هذا الرجل لشرف اصله
ولا لاجل علمه لقصد لحسن خلقه وبهاء خلقه وطيب حديثه وموصول
بشره وطلاقة مجلسه وحلاوة لسانه ومعسول شمائله ورقة حاشيته
وقربه من كل قلب وعلاقته بكل نفس وجلالته في كل عين ودخله في كل
صدر ومسراه في كل سر وهو كما قال ذلك الشيخ في تلك العجوز
اوزعت في الزجاج من كل قلب فهي محبوبة الى كل نفس ومع ذلك
فقد عللته الايام ضرا وفقرا وقد قبلها صبرا وشكرا
فقر كفقر الانبياء وغربة وخصاصة ليس البلاء بواحد
فصل من كتاب اليه بخط يده وعرفت مرض القاضي السعيد
واستدفعت الله البلاء عن جسمها وقلبها وسالته ان يمنع
الكبد بل الاكباد بعافيته وخطها قلت هذا جواب عن كتاب نسبه
اليه ذكر فيه مرض وعلم جهته لا من جهتي وسبب هذا الجواب منه
لا مني ومن كتاب اخر اليه بخط يده القاضي الفاضل العالم العامل

أحسن الله عقباهما واستبغ نعماهما وبلغ أصغرهما أكبرهما وأمتعهما بنعمه في
شرف نظرهما حضرة تنوب عني في إهداء السلام إليهما واستمداد الدعاء المقبل
من مظنته منهما وبالله إني في هذه الشقة أجد في الغربة لانفرادي من القاضي
السعيد وكوني لست به كثيرا وكنت أجد من نظري على الهم سلطانا نصيرا
وإني أباشر منه واحدا أجد منه عشيرا وما يسليني إلا أني أقدم حظ جنبه في
التزفية من هذه الأوخام ومن هذه الأسقام على حظ قلبي في الأنس به والتعلل
بقربه وكذلك أيضا حظ نفسي في أعقابها من هو ونه وراقه ومن كد عمايرها
باستيفائه والله خير حفظا وهو أرحم الراحمين قلت هذا ابتداء الجواب
فنذكر نسبه فصل آخر من كتاب إلى الأجل بخط ابن زكي الدين وورد
كتاب القاضي السعيد وقصيدته ووقعت منها على أدوية للشفاء ما كانت
في خزانة الأطباء ونتيج استعملها القلوب فعادت بصحة الأعضاء فجاءت
والعافية في قرن وترجحت ما ابتعث العلة من درن وأقامت بين يدي الحمى
فوقفت بها بابها وثلمت علينا محاسن آيات عرفت الحمى مع انسانها احسانها
فنكصت على عقبها ودخلت في حسبها وكأنما كانت بالحقيقة ماء عذبا صافيا
التي على نارها فشبها الحطب ولقد أتاه وله الحمد فصل الخطاب

وأنى له ما الآن لصاحبه من شيم الحديد الصلاب ولو أدركها فليت عليه السلام
مزامير المحراب فما أرخص وما أغلى ذلك البياع وما أشد ذلك المتاع
أنا بعثنا إليك ببعض القول من كتب عجيبة بالنجم مقصودا من الأفق فأما
القصيدة السلطانية فهي عندي سلا أن يكون عرضها إن شاء الله عند الفتح
القدسي ولو أنصفتها لكان عرضها في المحل القدسي فما أقول إنه يحل إياه الأدنى
بل إياه الأعلى ولا جيلنا الحاضر بل القرون الأولى ولا أقف على الإطراء لا
أقول هذه ما بعدها فما أتى الأخرى غضبى على فيتعطل الرضا عندها وما أعرف
لهذه المحاسن نظيرا أو لا أمثالها عنها خبيرا وهذه دواوين الفحول بعد حسنها
وهذه وجوه الأقوال بعد أو زدها نار النقد فأكلها وأنا مع هذا مريض الوصف
بدرانين المرض باب التوكيد وإدارة العافية باب العطف ولقد حال ما وصل
منه بيني وبين وقرأت ما كتبت ما أقر قلبي وأقر عيني فأما نصيب الحضرة الرشيدية
منه فمنزه عاجله لا نقصها الله وذكرنا بقى لا قطعه الله وأما نصيبي منه فكسوة
خلعها لا تخلع عني وحبرة أمتاه في فكري لا أترق منه ولا يترق مني قلت
هذا الفصل جواب عن قصيدة هناه فيها بفتح المسلمين عسقلان ووصلت إليه وهو
بطرابلس مريض متعلم وأما القصيدة للسلطان فكذا يتفيح الكفر للمشهور له
ما يقع أنه يختار فأما القصيدة المختصة به فأولها

بانت معانيه ولكن في الكرا اسرى درى ذاك الرقيب بما جرا

فصل من كتاب كتبه الى ... ووقفت على كتاب ولدنا وولدي ومولاي
ولولا اتقاي عتبه لقلت سيدي ولكن برابما من اجل ذنوبي وذكر فيه مرض
الحضرة واحوالها وما قاسيته ولولمه بابلائها واشتغالها لحررت
صحفا واخذت من الارض نفعا وعودت على ظهرها لغا ووالله لقد
كنت في هذه الليالي المظلمة والشتوة الباردة المصطرة والمحاصرة التي
كان منها في حصر والمنازلة التي كان منها في الخيام في قبر وقد قل التماسك
واشتد التهالك وجارت العزايم وتوالت العظايم لا احل بها الا
همها ولا اقدر على اثم في الدعاء الا اسمها ولا استشرف الكتب من
ديار مصر الا لاستطلع خبرها واعلم منتهى العلة ومصدرها ولا يخطر
ببالي ذكر مال ولا ولد ولا يشاركها في محلها من القلب لا من غاب ولا من
شهد فلما وصل الكتاب السعيدي سكنت بعض السكون واحمد الله على ما كان
وانتظر من تمام النعمة ما يكون ولله الحمد فانه ينعم بالبلوى فتكون لحسن
عايدة من النعمى ويمتحن بالنعمى فتكون اصعب مؤونة من البلوى ولولا
عوارض الدنيا لقدمنا على الله مفاليس بما ذاك قال بعض الصالحين
ولكن يبتلي الله ليأجر ويعافي ليشكر ويذكرنا بفضله لنذكر فله الحمد

على العافية يعرفنا قدرها والموهبة يعرفنا شكرها ∴
والحادثات وان اصابك بؤسها فهو الذي ادراك كيف نعيمها فصل هذا
الفصل جواب من كتاب كتبته اليه اعلمه بمرض لي وكنت كتمته عنه فلما ابل اعلمته به
فهما في الكتاب وقد كان المملوك والله مريضا مدنفا وعليلا على شفا وكانت
الحمى وافدة والاطراف منها باردة والقوة فيها حايرة والحرارة الى الباطن
حايرة والجفاف قد استولى على اللسان واليبس قد استحوذ على الاجفان
وكل عرض هايل وكل ما يؤذن بان الايام قلايل فنظر الله اليه نظرة ردت
الينا منه الغايب واحيا لنا منه المايت وبانت بعض القوة وعادت
اليه اوايل الصحة وسكنت الحرارة وسكنت الاخلاط الفوارة وانتقل
الى انصار من الناقهين والحمد لله رب العالمين ٥ فصل
اخر الى والي ورد كتاب الحضرة الرشيدة ووافق وروده وحشتي للقاضي
السعيد فانه سار وما اقام الا اربعة ايام وقلق فما اردت ان اقيد
قلقه واشتاق الى اهله فما رايت ان اعوق من شوقه وذكر وصية
الرشيدة فما اردت ان اعوقه وبالله اقسم لقد سررت بنظره وانست
بقربه وفرحت بما اشهدته من فضله وبما استرجحته من عقله وبما
توقعته من سعادته وبما قبلته من شهادته والموفق الذي لا ارد

لشهادته فما هو ولد بل هو والد ولا واحد بل ألف واحد ولا أديب بل له
الأدب أجمع ولا صاحب قلم بل السيف له قلم ولا نم على المسك روايحه
وليجد منه الأيام وهيهات أن لا تخدم القلب جوارحه والله يكتب سلامته
ويحرس صحابته وقد توجه إلى الصور ومنها يتوجه إن شاء الله إلى مصر
قلت حديث هذه السفرة وما جرى فيها واعتذاري عنها وقد
تقدم ذكره في أوائل هذه الفصول فصل من كتاب آخر إلى
في هذا المعنى وقد عرفت الحضرة الوسيلة زمانه القاضي السعيد لي والمامه
بي الماما طبيعة لا صنعة واندساسا إلى صور لأغراض خفية ليس فيها
تبدل فإني رأيته في هذا المعنى على صفة أعجبتني وحسنت عندي ومنها
يتوجه إلى جانبها المحروس وكنت وهو عندي في غمرات تولج وسكرات
نوبة وهو مكابد للغصص بما يشاهد في عليه ويجتهد بالمداواة بما مر به
من تجاربه والذي كان أشار إليه هو الذي فرج الله به والسلام
فصل آخر وقد وصل كتاب الحضرة السعيدة متضمنا ما أملته
تلك القريحة التي هي كالجنة في كونها أم الكتاب وإن لم تورد مواردها

١٤

من الأيام التي ما معها مصادر ولا شك أنه أراد أن يريني ما أعلمه
وأتحققه من أنه على كل من البلاغة قادر وجاني وأنا مجدوه الفكر
مشغولها قريح القريحة بل مقتولها وعلى هذه الصناعة
سلام امرئ لم يبق منه بقية تسوى نظر العينين أو شهوة القلب
وقد جاء في هذا المعنى الضيق بالكثير الطيب وتدفق في هذه الجدا دنه
الكا تدفق الغمام الصيب وهو معنى لا يطغى ما والبلاغة مما
تولده المغاربة من الناس وحديث مليح في الشيء بديع ولكن ما تزوج
الأفكار وهذا الفاضل مسؤول في أن يخولنا ببدايعه ويؤمننا
دثور الفكر بروايعه ولا يضن علينا بما هو يسهل عليه من منافعه
والإدخال فيمن يمنع الماعون والإخراج من الذين هم لأماناتهم
الفضيلة وعهدهم راعون قلت هذا الفصل جواب عن كتاب
كتبته إليه أعرفه عن عكا لما أخذها الفرنج من المسلمين ونسخته ما كتبت
إليه في هذا المعنى بعد التصدير وينهي أن الداهية التي عمت وأعمت وا
واصمت وذهبت الإسلام وذهبته وثغرت ثغره و وابدت
به الأيام اللئيم من أشرجاع العطية ما كانت كمنه فإن تكن إليه

قريب وان صنع الله عجيب وان نصر الله منتظر وان فرج الله يرتقب
وانا لا نقنط من رحمة الله ولم يقنط من رحمته الا عدو كافر ولا نخاف
ان يخفى دينا وكيف وقد ضمن الله انه الظاهر ولا نخشى ان يخذل وكيف
وربنا الناصر لسلطاننا الناصر ولا نيأس من روح الله وكيف ونحن
المومنون ولا نرهب اعداء الله ونحن حزب الله الا ان حزب الله هم
الغالبون وما كان الله ليضيع ايمانكم وعسى ربكم ان يرحمكم ولن يجعل الله
للكافرين على المومنين سبيلا وعد الله لا يخلف الله وعده وكان وعد الله
مفعولا لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل وليتحقق
نزول النصر على المومنين اذ صبروا ونصروا وقد كانوا ظفروا ونصروا
وللايام دول واذا قويت الاقدار فما اضعف الحيل ولكل اجل كتاب
ولكل كتاب اجل ولا سبيل ازالة ما تقدم في القدم وسبق في الازل
ولنا رب واحد يكفينا ما اجتمعت عليه الارباب ولنا حزب بقوة الله
هو الغالب فقاتل به الاحزاب وما تدري نفس ماذا تكسب غدا
وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض ام اراد بهم ربهم رشدا ولهذه الملة

رب تعالى هو اكرم من ان يواخذنا باجرامنا ونبي لا يطيب له المقام في
المجموع ونحن في مذموم مقامنا ولا بد لربنا ان يجعل لنا الكرة
الراجحة ولعدونا الكرة الخاسرة وان يزيل تلك الدولة ويديل على
اعدائنا الدائرة ولا بد لنبينا ان يشفع لنا في الدنيا كما يشفع فينا في
الآخرة وان يقوم لنا بالنصر ونحن الفئة المومنة على الفئة الكافرة
ولله تعالى في الغير عبر وفي النعم حكم وفي الشدائد فوائد وفي المصايب
مآرب لا تخلو افعاله سبحانه من حكمة اما بادية لنا
واما خافية عنا لنثاب على الايمان بها فلذلك علمنا ان قضاه في عكا وانه
لا يخلو من حكمة فقد بدا لنا فيها ما عرفنا قدر النعمة بها وقت ملكنا وانا ما
وفينا النعمة حق شكرها ولا اعطينا تلك العقيلة حق مهرها فندمنا
واستغفرنا وا لشكر الله تعالى لما بقي من الشام معنا وعرفنا
بها الحزم الذي فاتنا فيها فاستدركناه فيما هو اشرف منها ونحن عنا عليها
كان حسرة هانت علينا عندها كانت المنية ولا نجادل الى ان يجمع
مثلها ولا نتقاعد الى ان يثمر نصلها وما ذهب من
ولين اخذت منا بلدة فقد بقيت لنا بلاد احسن منها واحصن وامنع
وابيع واسمى واحمى ونرجوا من الله تعالى ان يفتحها من [illegible]

حلاوة الظفر بها مرتين ونعد بهم كرتين ويكون الفتح لنا الذ واحلى واجل
واجلى واشرف موقعا واجل موضعا وقد صرنا على العدو احنق والى
لقائه اشوق وصارنا الكتب وشيئنا اصدق وصرنا طالبين
بعد ان كنا مطلوبين وضاربين بعد ان كنا مضروبين وحاصرين بعد ان كنا
محصورين وحاشرين بعد ان كنا محشورين فاما المدينة الخبيثة التي لا تعيش
الاعدا الى ان تعشعش بها غربانهم ولا ان تتصلب بها صلبانهم فاراد بهم
الا وبالا وما كانت لهم وان مرضهم الا اعتقالا وانما يريد الله ان يعذبهم
بها في الحيوة الدنيا ويجعل كلمتهم هي السفلى وكلمة الله هي العليا ولا بد ان
منافسوا عليها فيختلفوا ويحلقوا عليها فيتلفوا ويتصرفوا
قل هو القادر على ان يبعث عليهم عذابا من فوقهم او من تحت ارجلهم
او يلبسهم شيعا ويذيق بعضهم باس بعض واذا اعدمنا الثواب على حسن
العمل لله فلا نعدم الثواب على حسن الظن بالله وانا عند ظن عبدي بي ان
فصل من كتاب اخر الى والدي بخط يده وصل كتاب القاضي السعيد
احوج ما كنت اليه والى ان اقف عليه واجلو صدي فكري به وادخل خاطري
للجمهي لي جنته واخالط الخمار الهم كابن حجة ووقفت على الاخبار

ومن وقف على اصول اشعارهم علم انهم هادين حطلين وانا انف لذلك الخاطر
من صفائي الان لاني انتزعتها من صفاه ومن عيون اقوالي فانها لما كانت مثله
كانت عينا بلا قذاه قلت هذا جواب عن كتاب كتبته اليه قرنت به جزءا
فيه اختيار ان جماعة من المحدثين منهم الارجاني وذكرت واحدا منهم اخر بشعري
وكان مما ذكرت به الارجاني واما شعر الارجاني فان المملوك راجع اختياره
فكرر تامله فجا الاختيار منه في هذه الدفعة الاخيرة اقل من الاختيار الذي اختار
المولى في الدفعة الاولى وهذا الرجل فشعره ضد وجه صاحب ابي نواس الذي
قال فيه يزيدك وجهه حسنا اذا ما زدته نظرا شعر العجمي كصاحبه
لا يحسن اليه الا الاعجمي ولا ينشر منه الا العربي وقد قاده طبعه الى ان نظم
كلام العجم وان كان لفظ لفظ كلام العرب فان كل كلام مقولة العرب مستويا
مقولة العجم مقلوبا وكل ما تنطق به العرب ماشيا على رجليه تنطق به العجم ماشيا
على راسه ۝ فصل من كتاب اخر الي بخط يده وما استقبلني مصر
بهدية احسن من كتاب القاضي السعيد وابدع من خطابه واحسن من صوابه
فانه كتاب يغني الكتب والاقلام اوصافا وتسيل على جوانبها حتى خواطرها ان تتمنى
بحارا ولنز اطيتها ان تتم اصدافا عن ابعد عن ذلك الكمال ولله در تلك الانفاس
التي تستخف عقول الرجال بل عقود الجبال وقد لان الله له ما لان لنبيه

لا شعار

عليه السلام من الحديد الذي له باس شديد واجرى على قلبه ما اجرى من القضا الذي
قيده عن عتيد وما وقفت على حديد من قوله الا انصرف قلبي عن الخلع وتفعل
بالاعطاف ما يفعل بالغصن الرطيب الريح الخارج ولقد ابقى في الاثار للاباء
ذكرا وفي للابنا فخرا وارسلها مسلسلات فارسلتها مجردات واثارها
اوابد ونظمها قلايد فتارة بها من لا يستسر مستمرا وعني بها من لا يعني معتمدا
وما اقول انها اتعبت المحابر بل اراحتهم وحملت وظايف الكلف عنهم فانهم
لا يقدحون الا النار ولا يسلكون ذلك المضمار ان طلبوها فبينها وبين
الانجم في سماواتها وان عارضوها فبينها ردا الانشئهم الى غاياتها وبالله لقد
لقد استنطبت الكتاب والكراريس لكنهما اقترن سهما من الدنيا فان ذلك طيبة
عرض بريه النار وهذا جوهر لا يحرقه عرض الاقدار قلت هذا جواب
عن كتاب كتبته اليه عند توجهه الى الديار المصرية فوصل اليه في الطريق وكتبته ارتجالا
فما له عندي نسخة ومن كتاب الى القاضي الاشرف ولده بخط
ابن زكي الدين وفي هذا اليوم وصل كتاب القاضي السعيد الى دمشق فوصل الى
العين منه انسانها وتبوأ من النفس مكانه وهو مكانها واحوال مساله في
جثته والطريق ما اثرت فيه اثرا ينقص من نشاط عزمه وكان مع

كما قال المحتوون وخرجت الى العراق مريضة فاقبلت من مصر اليها اعودها وقد
ابعد في الجمال مرماه ولكنه كريم في فضاء الحقوق مشاه ولقد استقبلت نظره وجادت
صدفته تقتني بجوهره ونصرت على ليالي الهم بجلده من ثمره واقول هذا بيت قد
نبعني الله باعجازه وموادبه وصدوره وقوافيه فانا منهم بين غايب يحزنني
وحاضر يونسني ومن يتوقع غرس ثمر لغيري بادرت الايام دونه تستخلصني
والله يعين على ما كان منهم من غير ضرورة قلت هذا الفصل من جملة ما كتبته
في معنى قدومي الى دمشق وقد سلف في هذا الكتاب امثاله ومن كتاب
الى ابنه بخط يده ووصل ما سيره القاضي السعيد من الكراريس ان
ولكن احاطت بالرقاب السلاسل واعوذ بالله منها حسنا وان احاطت بها حكما
وما عندي شاغل ولا عن محاسنه فاهلا بمورد العذب الذي افاخر العذب باسننه
قلت هذا الفصل جواب عن كراريس لخيارات الاشعار التي مضى ذكرها
تذكر ما كتبته واجاب بما في معناها فصل من كتاب اخر وصل كتاب
القاضي السعيد يسر الله مساره وبلغه اوطاره وتجلت من عنوانه اثر عافيته
التي كنت جاهلا بها دما وكانت هذه بشرى لو لم تكن في الكتب بشراها
لا كتفيت بايرادها والله يدافع عن مهجته ويحميها ولو قبلت الافدية لكنت بالنفس
الاعدا بل الاخوان افديها فاما بالاغنية فقد بلغت الغاية واما قلبه فانه قد اعطي

الزايد وقد تجاوز حد الكمال فانصرفت عنه عيشته واوجبت له حرية الايام بعد ما لا
بدان يقضي منه دينه وبالله اقسم ان مسرة قلبي تجمع عند قراءة كتابه وهي لذة تبقى
فان محاسنه ما احتجت ان اعبر بما هو موجود من محبته في طبعي فانها مستقلة
بين اعيها ممدوحة بلسان ذوي ودها وعدوا بها ومع عافيته فقد انقطعت
الاعداد في تاخير انفاذ الرسايل والكتب والاشعار فلم يرسلها الى تترى شيعا
ووترا وشغفي بذكرى بها فان الذكرى قلت ـــ هذا الفصل اجبته به عن
كتاب طويل عريض جامعه وقف المملوك على امر مولانا ما يختاره من شعره
وجمع ما تجدد له من نظم ونثر فاما الاختيار فقد اتحف المملوك وقد
فرغ كاتبه وتركه الى ان يرد اليه من يعتمد فيه عليه واما ما تجدد له
نظم ونثر فوالله ما تجدد له الا الغموم ولا انثر الا الدموع ولا انظم الا
الهموم ولا اتكلم الا قليلا ولكن بالكلوم ولو اطلع المولى على حال نفسه
وقلبه وجسمه وذهنه وما اصيب في كل منها بما لم يجر في وهمه ولم يدر في
ظنه لعلم انه ما يذوده عما يقول ويحرسه عما لا بد له من الكلام فضلا
عن الفضول والارض تعلم اني من فوقها منتصف كاني من تحتها
اما نفسه فليست النفس المطمينة بل القلقة التي تقول يا حسرتا على ما فرطت
وكيف الخلاص وقد تورطت فهي تنتظر المنون وتظن بالدهر الظنون

وبالله اقسم ما امل سعادة قلم او اعمال فكر او ارسال بديهة في جواب واني احوج الناس
اليه في هذا الوقت وكان يجبر عجزي ويستر انقطاعي ويرفع بشباب خاطره شيخوخة
خاطري قلت ـــ هذا الفصل جواب عن كتاب كتبت تصرفه على عتب عليه لاشيا بلغتني عنه
ثم كشفت عنها فلم يكن لها صحة فصل ـــ من كتاب الى الخطيب واما شعر
ابن رشيق فاغلا بما حصل من فوايد القاضي السعيد فيه من الله فقد جر واديه
فطم على القرى ورمت خواطره فاصابت منا كلمة الرمي وقد يعلم المولى انه الكتب من
كل من قرا كتابه واشعر من كل من يختار شعره ولقد صادف منه كاتبه خاطرا اصدفنا
بجوهره وموردا اغاني فاحسنه واثرفه كالمنداجل في الزند وذكر ما قد نسيت من اله
واني قد سئمت ما ازل وهربت من مطالبي وصار الكتاب عدو قلبي وبعد منا وله
من قرب مني بعد ما كانت تحت يدي والا فلو حضر في وصف ما لقيت من كتابه . ولو
ساعدني حظه لاستسقيت بها من جداه سحابه قلت ـــ كان قد اطلع
على اختيار شعر ابن رشيق فاحرته اليه وشيرته اليه وكتبت اليه كتابا جامعا من فصوله
وما راى المملوك اعجب من شعر ابن رشيق ولا اطرف من شعره ولا اخلط منه بدر العمر
ولو لم يخلق الله ابن المعتز والمتنبي لما كان ابن رشيق يعرف الشعر فضلا عن ان ينظمه ولا
ان يعمله وهو نهب اشعار هذين الرجلين نهبا قبيحا ولا سيما ابن المعتز فمن الموضع بعينه
من ابن المعتز قال ابن المعتز بعض شوح وبعض سيار فقال ابن رشيق
تذهب موجا وتجي بدرا وقال ابن المعتز

فاقتضها ثم بات يمزقها كأنه فقال ابن رشيق
وبت طول الليل الوطء اقتنصه كانني اخيطه وقال المتنبي
يهز الجيش حولك جانبيه كما هزت جناحيها العقاب فقال ابن رشيق
والجيش ينفض حوله اشنفه نفض العقاب جناحيها من البلل وقال المتنبي
سترنها عنك الحجال ولكن بك منها من اللمى تقبيل فقال ابن رشيق
وكانه من حسنه ولمى فمه قبلته الشمس في فمه وجميع ما من شعر من هذا النمط
سوى موضعين او ثلثة قد حرت المملوك استحسانا لها وتعجبا منها فانعيته تفتيشا
وتنقيبا عنها ولم يعرف من اين اخذها ولا من اي روضة التقطها وهمنيا الى
كان خاطره اخترعها والعسري لمن كان ذهنه اخترعها فمن ذلك قوله
كانما الصبح الذي يراه الى الشرق النجوم الزهرا فاختلطت فيه نضارا وتبرا
وقوله وما نقلت كبرا وطائي ولكن جرت وراي النسيبا وقوله
في الزنا كانها كاس بلور او نرجس في يد الندمان قد ذبلا
كانها كاس بلور حسب الكاس مانعا وقوله
سالت الارض لم كانت مصلى ولم جعلت لنا طهرا وطيبا
فقالت غير ناطقة لاني حويت لكل انسان حبيبا فصل
من كتاب الى والده وانا متطلع الى اخبار القاضي ابي الحسن ولد القاضي السعيد اتاه الله
فارتد انعم فيما ذا يشتغل به وما ذا استقر طبعه عنه فلا عذر لابن البرى ان لا

---

١٥ رسالة ابن القيم تاريخ وادب بن حزم

حموه الوشي لابن الاثير مصطفى

يبرى ولمن ولد بين مصحف وكتاب ان لا يقرى ويتقرى واريد ان اري خطه لاعرف مقدار
اهتمام والده به قلت لما وصل هذا الفصل امليت على ولدي كتابا كتبه اليه بخطه
يسجد المملوك بقبل الارض ويهني انه قد ورد الى الوعد وخج ودرج في الدنيا ودنى
وينطق لسانه بالكلام ومن بين اصحاب الانام لم يزل المماليك ابوه وجده وجد ابيه
يلقنونه الدعا لمولاه ويعلمون لسانه النطق باسمه الكريم ويفهمونه مقدار قدره
العظيم وانعامه العميم فاذا تجددت لهم نعمة قالوا الديه هذه نعمة من بحر وانت له
عبيد واذا سكنوا في ظل راحة قالوا انحن وانت في كنف ظله المديد واذا
ذهبت عليه قالوا كل منا من الوالد والولد لولا مولى من جاهه نواسيه الوليد
فتربى المملوك على ذلك واغتذى واقتفى آثار ابائه المماليك واحتذى ونشا
طبعه على تعظيم مولاه وحبه وذهب لسانه بالدعا الى ربه ولما اشتد المملوك
قليلا وراى مولاه رات عينه منه دنيا ثانية واخرة باقية بل جنة عالية
وراى من احسانه اليه وحنوه عليه وبره به واكرامه له ما جعله في الاعين كهلا
وان كان طفلا وصيره في الاعين كبيرا. وان كان صغيرا ولم يكتف
المولى بذكره في الحضور واكرامه له في المقام المشهود المشهد الى ان ذكره
في كتابه الكريم ودل على عظيم حظه منه وما بلغها الا ذو حظ عظيم ولما ورد

بهذا الانعام خرج به المملوك من الطفولية ووصل الى درجة المكلفين وكم
اخلص في الدعاء ولم يكن بعد من المكلفين وبلغ اشده وبلغ اباه وجده وفاخر
صغار الكواكب في ابراجها وكبار الجواهر في ادراجها وتخير على الخلايق وحق
لهم اذا افخرهم وتقدم عليهم وحق له اذا افخرهم لانه ولد في ايام مولاه وظهر في دولته
وربي في حجر نعمته وولد بملته جماليات له كل منهم يتحرى بملكته و ولم يظفر بهذه
السعادة احد غير المملوك الصغير ولا استعار بهذه الفضيلة احد موجدها
مبشرة للمعين مستهلة للمستمعين والله تعالى يتقبل ادعية المملوك فانها خرجت
من لسان لم يستطر عنه خطيئة وصدرت عن صدر سرائره نقية ويجعل اوبه
مولاه وبشره بطلعته المضية ويجمل نعمه عند المملوك مامولة الدوام موصولة
الحبل ويتمها عليه كما اتمها على ابويه من قبل ان شا الله تعالى وكتبت
اليه جوابا عن ذلك الكتاب بما نسخته وقفت على كتاب القاضي الاعز اعزه الله
واحياه وحفظه وحباه ولقد سررت بخطه وترشفت مواقع اجزائه
ونقعت الغلة بموارده وتوسمت السعادة وفصها من مولده ونعمت
النجابة على البعد في شمايله واسترددت ابا في الغاية الى ان يكون بها لجده
فهذا عين وقرينها وريحانة فواد لاعقب بها ومستقبل شعاع للبيت

لا جولت عنها قبلها وماحطه بما يسبل دونه القناع ولا بحر من البيد
امانه ولا يبعد ذهنه عن جوانه وهو قابل للزيادة طالب للغاية والاستقلال ل
لنظم لكانه والاعتذار في التقصير في الكتبة عذر في غير مكانه
فصل اخر للقاضي السعيد اسعده الله لا الى سنه بعد
سنه من اخلاق وعلاه فهو يعلم ما كان يعتريه لتخلفه وقد طال انتظاري
وعليه سلم الله وبركاته وهو مشكور عليه كيف ما تصرفت حالاته ولي
عنده مطالبات اخوان لا يحيل امرها على ذنوب المقادير ولا يتعلق منها
بادنا بالمعاذير فلا يجمل معي تنائي واصل اليه وقادم ان شا الله عليه تدم
قلت كان امري باختياري ما تقدم ذكره فلست بستحيي في امره ولا
معزل عادته فصل اخر من كتاب الى لا يقطع القاضي
السعيد عن نتايج خواطره ولا سوانح جواهره ولست اعني ما ينظمه
فاني استعظمه ولا ما يتكلفه فاني ارفضه ولا انت اعلم انه ذو سعة يتعلق
من غير ذي سعة ولكني لا امل الى ان يكمل الى دعته فان هذه القصيدة
رخيصة ان يرتفع الى الحول جوابها وحقيق لها ان تساق في التسبيح الهدى
مقلداتها فهي من الشعر الذي لا يتبع القادون شعراه غيره ولا يفضل
الاودية الى خاطره من الحرم فلست كانت تبتني قد تاخرت عنه فاستحبها

بهذا الفضل فصل اخر البابا ووصل ما انفصلت به الخطوة السعيده
اسعدها الله من منثور وموزون ودر مخزون وحليت به من نحر يبيض على العقب
والعقب وارسلت به من يحب برقص الاعراض واكنها النسب وماتيب محاسنها
يحتاج الى من يركبها بل الى من يدرك احسانها ويعرب عن فهمه السابق معرفه موضعها
من الفضل ومكانها وبالجمله فانها مخ بنت المادح فكيف بالعايب ومستوجحه اذا
استشعدت بطول عيسه العايب وقد حليت بهذه البلاغه عن نفسها وجليت هذه
العروس فكل ساعه بيم من يهوي بطرد بيوم عرسها وانتر الله به عين حاسد فكيف
بعين والده وساذن والنجم وربما اعمى يحتاج الى عصا الحور او قايده ولا اعرف
الان ولا يحضرني ولا اذا كنت فارغ الذرع ولا واسع الربع قولا ارتضيه للامانه
عن مسرتي بهذه النشاه الفاضله والحسنه التي اعتنت فيها الحلوه العادله عن
الاستجاد بخواطر المحبه المحاسنه المايله وفي ذلك الكتاب كل اشارات طريفه
وكل بشاره لطيفه وكل فقره بلغا الكتاب يقراونها وكل ملحه تحار الالسنه
الاستحسان حتى يصل الى الخواطر جعراوها ومهما كان من هذا البديع البعيد
ساوا على مبانيه ومن هذا الجنس المثال فايله حتى يسنح بحد خالقه وبارية فاولاه ان
يجازي به خواطري الصليه فيها ما لا ترخصه المغارس ويحدها الغاص للمصوله

فقد عليها ما لا ترخصه المعاطش وما في وصفه الا ان ادل على فضله
بالاضافه وما اجدر ان عنيت في هذه الصناعه يعترف له ابن عمر ومن به السبق
والامامه ولولا خوف الكلم المأثور لوصلت القافيه التي لا يخفى على القافه
بالخلافه وله بعد في القصيده الاخرى النونيه التي في السلطان وقد كتبت بهذه
النونات الى ان صارت اكرعها في البحر من البستان قلت كنت عند عودي
الى دمشق من الحجاز قد كتبت له قصيده نونيه هنانه فيها بتمام الحج والسلامه في
الطريق اولها بما شاناك لولو مكنون مثلها لم تقع عليه العيون
يا حبيبا حرى عليه كثر وحق قلبي عليه امين
قد حدث يا عظم ما بي تجر حنيك والحادثات شجون
بي منه فحاوه فعل فالمرشف منهم وذلك الثغر سين
عن من العزا عنك فالكذب من قال كل صعب يهون
غبت فاغتصت بالدموع وقل بعناص بعد العزيز ما يهين
ذبح الياس ان يايتم فهذا الشك من عودكم وذاك اليقين
سافر القلب والدموع بحار لتلقيك والضلوع سفين
دمع عيني قد ضاع فيها فقد ضاعت لديها امدادها والجفون

ليت دمعي لو كف عن سرى الطيف بان الوصال فيه يكون
لك نعم الوكيل من دمع وهو للمقلتين بئس القرين
سوف ابكي لا بل انوح فقد اصبح بين الضلوع داء دفين
يا ديوني على الحبيب وقد اصبح من عند الحبيب الرهون
ايها الساكن الجفون لقد حل من الغرام ذاك السكون
حصروا ذا الفتور في لحظه الجفن فقالوا الفتور وهو الفتون
كحل لم يشبه في الجفن تكحيل وحسن ما شانه تحسين
حين ابصرت معجز الحسن امنت فدين الغرام لي فيك دين
ايها العاذلون كفوا عن العذل فاني بدينكم لا ادين
خجل العاذلون فيك كما يخجل من بعد عرسه العنين
كذبوا اما تسلوت عنك وهل يسلو عن العامرية المجنون
يا غنيا من حسنه فوق خديه تصدق فانني مسكين
لست ادري اذا سمحت اخدعوا او بعقلي ام حنين
عطف لام من تحت نون بصدغ منك اصبحت كانها تنوين
ليت طاوي اللحاظ بستان خد وعليه من صدغه زرفين

وكذا كيف لي الشان بقول الشعر لكن قد يضحك المحزون
وزمان بما احب ضنين وعلى من احب فيه ظنين
لم يزل فيه لي ولا خير فيه امل معجب ونجح حرون
ان تعثرت او تعصبت يا دهر فبالفاضل الاصيل يهون
لي في رايه مقام كريم وعلى قلبه حفيظ امين
انا عبد وقد غدا لي بعد الله نعم المسؤول ونعم المعين
لقيتني نعماؤه اياديه وبيني وبين لقياه بين
حيث ما كنت واجهتني اياديه فوجه مسدي وعطف يلين
فترنمت حين طوقت والورق في الطوق شانها التلحين
هذا ثنائي به المكيل من الاحسان موال واناه من الوزون
صدقتني الظنون في جود يديه وكم اخلفت سواي الظنون
بكلا الراحتين منه نوال وكلا الراحتين منه يمين
في ذرى عزه قصار المعالي وكل لفظه بذاك المصون
حصنا عند العدو المداجي ووفا عند الزمان الخؤون
دبر الملك منه حل وعقد وبلا ناه منه شد ولين

يا بعيد السعادة والبيعة قد كذبت عليها اليمين
فاصطفاه الرأى الرشيد على العالم فهو الامين والمأمون
واذا خط بالبراعة خطا فهو ما يذكوا وما معين
لسان ذلك المهرق سرح المنى وحظى الميمون
لا تعجب اذا اصفر اذ كتب خطا فللحسام طنين
لم أخل الحسام سقاما فطين الحسام منه امين
خلت املاك الغصون وهل ثمرنا الجوهر ات الغصون
تخبر العالمين منك بيان مولا لشك فيه حجة ومبين
ان اعطانا للفضلك اسماع لان الفاظ منك عيون
كل هذا وخلقه وربح نجيث من بعضه المنام الجفون
وصلاة تعجب البيت منها ولم يعدها الله حنين
قد شكا فقدك الثنا والمصلى وبكى بعدك الدعا والحجون
لم يكن حين اذن الناس اترهم الا الاجلاك الشاذين
ما الذي عنده تشاد الدنيا كالذي عنده تشاد الدين
صور الله ذلك الشخص نورا وجميع الانام ما وطين
ايها السيد الذي فيه سر الله طورا يخفى وطورا يبين

اصله

وله في السماء وجه وجيه ومكان عند الاله مكين
غبت عن عبدك الذي غاب عنه معقل شامخ وحصن حصين
طمعت بعدك الحوادث فيه وجرت فيه او عليه شؤون
انا من بعدك الكئيب المعنى انا من بعدك العميد الحزين
لست ارضى بان يكون جوادا وزمانى بان اراك ضنين   واما القصيدة

السلطانية فهى قصيدة مدحت بها السلطان الملك الناصر باشر ابن نارزال
اولها   يا اخذها ان جمع الحسن والحسنى ووجدى بسكان الجمع الحسن والحسنا
علت وحلت بدر السما ملاحة وما نال الا ان عاد اعلا بها الادنى

فصل من كتاب الى والدى وهو بالحقيقة يورد الظمآن ويرشد الحيران ويشفع الغليل ويذهبه ويجول رداء الفضل ويذهبه وبهذا عطارد الارض قد ذهب من شمايه ويكون خط خط المشترى بمشيئة الله ان صدق المنجم في ادعايه وما احسن قوله مشتريا وما احسن كتبه متصلا واطراحه الكلف واتيانه بالطرف او رد ما يسعد ويسعد يشمل بالسعد لامرى يد مال الامل لا بد ان يفتح لنا من رسايله ويشرك امسح اصدقاءه في الاطلاع على فضايله ويقيمها لنا امثلة تزيد على فضلاء ذلك دمه او امثاله والطرق التى هو فيها يسلكها ولا يترك ولا يغير عليها ولا يرجع عنها
جش الناس بمفاتيح الغنى وعلى قدر المطالب تلقى سيرة الطلب ملت بيد الفضل
جواب على امر لمن شرعت فيه واستأذنه في امر يلوح ما انصرعنا فاجابنى عنه بالفتح وفيه

به

والامر فيه وتمثل بالبيت وهو لابن نباته وفيه تصريح بسلوك الطريق ولكن بالثاني وحسن
فصل من كتاب بخط ابن بها الدين وكان وصلني من القاضي الشهيد ما وصلني
به وقد استوت محاسنه على سوقها ورايت ثمرات اشجارها مسوقها وسوقها واستحقت
خواطره الابكار من المعاني التي اصبح له البلغا مضطرين على طريقها وهذه الفضيلة لابد ان
تظهرها الايام وتذيعها وتسودها وهذه الوسيلة لا يبعد ان يعضد الاقدار حسودها وتوفيها
فوالله ما ادري ازيدت ملاحة على الناظر ام عين المحب فادري على ان عين الرضا لا منة لها
عليها لانها لا تجد فيها عيبا فتستره ولا سقطا فتحصره واما عين الحسد فتستحثها
بعد ما تمتحنها وشهود البصيرة تشكرها بعد ما تبصرها وكيف اني لا احظى من تلك والسالك
لفظه الا اللذين بكن ولما اودية من مستر تشكره والله يقر عين الدنيا به واعين اهل
معارفه واهل وده **القسم الثاني** يتضمن فصول السلام في اولغرابة الى
والدين فصل بخط المولى القاضي زين الدين الوالد لا فرق الله لكم شملا
ولا اصبت لكم حبلا ولا قصر بكم عن رابة الانس حبلا عزا لا اوحر ذكرها الا حين اجاوزه
الحمد له ولا ان كونهما من نعم الله المستدامة ما بلغ المسئلة وكانها من قبل سكان البلد
فصل اخر وعلى المولى والدها سلام مودع لا مودع الله سحابه ولا سلبها
المستمتع مشاهده والشابه فصل اخر المولى مخصوص بسلام مخصوص من المسك
الاذفر معدوديه اذفر فصل لغز المولبان والدها وولدها محبان باعذب

النخبة والطيبة واجيبها الى طلب المكارم واعجبها وبهذه اشهر بشريقه فيذكرني القاضي
الكبير عند غيبة الزبيب الذي سال يوسف عليه السلام صاحبه ان يذكره عنده فصل
والله الخليفة عليها وعلى ولدها وولدي لا عدمت بنا احدهما الذي هو كالنهار لا كالنهان
ودعا الاخر الذي هو ليلا كالاوار فصل اخر المولبان والدها وولدها جعلها
الله في كنف الكفاية وحرزها ولا زالت الوقاية مشتملة عليهما اشتمال الداير من كرمها
مخصوصان باطيب تحيه واصدرها من صدر ارحبه فصل بخط بنيه المولى الوالدين
الله عليه بصحة وبعمة الصالحة ولا اعدم الطيبة فانها الخير والصلاح الا الاكل والنكاح
مستمدة من الدعا وعهد الثنا وكذلك ولده حفظ الله الوسطى بينهما واقر
ببقائه عينيك والله الخليفة عليكم والمشكو اليكم فصل اخر من كتاب واما
عافيه والدها وولدها فلا اعلل بسري ولكن استريان والحمد لله الذي صان جلبها ولم يحجب
صبحها واتم الخير منها وعمها وشملها واياها من طوفان هذا الوبا الذي لا عاصم منه الا
من رحم وحمى دارها ودارنا من زيادة هذا العارض الذي قد تقدم فصل اخر القاضي
والدها الكبير عزا وولدها الكبير عليهما سلام لا يبعد ولا ينفد بحد ولا ينقطع واذا انقطع
تردد والاحل ما علم اتى احوال الكبير في صحة جسمه وفي حجه فهو بغية الخير ومنها يجاري الدهر
عنه فلا ضير فصل اخر بخطه والحضرة تبلغ الخضر من الوالد والولد سوال الحل
وشاني الحل وودي الحق وسال الكبير من رعاية الاخلو كاحبابنا من وظايفه ولا عريب
مناكبنا من مطارفه فصل بخط بنيه المولبان والدها وولدها الا اعلم ذكرهما

والامل بنكرهما واتحقق النفع والكمال بما للاول من دعاء وثنا وللاخر من هنا وسنا والله
يقر عيونهما بنا بهما وعين ملتا بهما فضل والله الخليفه عليها وعلى والديها وولديه ولا
برحت وبهما مشمولين بالصنع الجميل منفين بالحياه متاعا غير قليل لتبت صبيحه البراه
جعل السلام من النار براه ولا عدمنا في دجاها من الاعمال اضاه اخر
الحضره السعيده اسعدها الله وولده امتعها الله بحياتهما مخصوصان بالتحيه الطيبه
كاصلها الكريمه لفعلها العزيزه ذكاتها من بلدي ومحلها اخر وبلغ الحضره من
سلامي وامتلاي وتسوال لا لا القاضي السعيد ولا اخا ولده ولا يدخل طي حرها في
طي غضبها ولا تحمل من ذكرها في اخبار كتبها الحضره في ضمان الله وامانه وولدها القاضي
السعيد وولده القاضي الاعز وما عرفت نعمه والله يجمع شملها ويسر بشفاءها اهلها وتمنيت
بالقاضي السعيد فانه قره عين لـ والك ولله مرضي الله عنه عنه اخر العاصيان
الوالد السعيد والوالد ابو الحسن اعلاه الله وادام فيه مادارت من ابيه ولا اوخر ذكرهما
الا لانهما نعمتان ما عرف بهما مخصوصان بالتحيه العليه الصادره عن الكبد الحرى
وان كانت فترد ذكرها الوظيفه اخر القاضي السعيد وولده لا يخشى
من اعقابه وفي عقد لطفه الذي لا يخشى من انفصامه وعليهما مني سلام لا اقنع
به بل بتحيه الله وسلامه اخر والقاضي السعيد وفقه الله واسعده
واعلى جده واباه واصعده عليه تحيه من عند الله ابديها على لسان القلم سامه عن لساني
وسلام طيب بارح منه مكانه كانا رح بذكره مكاني اخر المذكور لا

يشام ذكره والموخ الذي تحت تقديمه القاضي السعيد وولده حياهما الله بالسلام
تحيه طيبه اظهر واكبر في هذه النسخه من صوب الغمام اخر والقاضي السعيد
وولده حياهما الله بالسلام تحيه طيبه وسلام زال يصدر عن قلب اليهما مشوق
لغرامهما شائق والله تعالى لا يبدد لبيتهما شملا ولا يفرق لهما اهلا اخر
والخير يكون ان شا الله لها ولولدها ولقره عينها القاضي السعيد وفقه الله ولولده
جمع الله شمل الجماعه به وجامعه ووصل حبلهم به واعاذ من اعتراض قاطعه اخر
المولى القاضي السعيد وولده سلامي عليهما يتردد وذكري لهما يتجدد وما هو الا
تجدد بعد تجدد وتردد بعد تردد ولا انتظر به وصول كتابهما بذكرهما ولا ان
يكون رد التحيه منهما رحم الله الجد وابقى الاب وجمع الشمل وسر به الاحبه والاهل
اخر القاضيان الوالد والولد ادام الله امتاعه بشفاءهما اوثر من تفضلها
ان يكون ما يصدر به كتبهما من ذكر ولعل حرسه الله بذكرهما في التلاوه لا زالت شعارا لها
وفي السلام لا زال مجموعا ضمنها وترددا الطيبه عليهما اخر كان
تسطير هذا الكتاب في عاشر رجب احسن الله خاتمته عليها وعلى القاضيين الاجلين
وولديها واقربها العين وطوى بينا وبينهما شقه البين وصرف عن فضلها
العين وال يديها العين اخر اخرت ذكر القاضي السعيد وولده والسلام
عليهما الى ان يكون الحمد لله من بعد لانهما مومنان يستحقان الحمد ويستوجبان

الشكر اخر والله الخليفة عليها وعلى ولديها وهو تعالى يحفظ العقد
وواسطته ويرحم فارطته اخر وعلى القاضي السعيد احياه الله وحيا
وولده اتاه الله وانشاه تحية مشفوعة بدعوات صالحة وبذكرى تقرب بها الديار
وان كانت نازحة اخر القاضي السعيد وولده في ودعة الله وسعته
وضمانه وكنفه الوسيع وجواره المنيع

وما احدثه النأي المفرق بيننا دنوا ولا قرب اجتماع بعد لقيا اخر
والله الخليفة عليها وعلى القاضيين ولديها وولده ادام الله لهما ظل بقائها ولا اخلاهما
واياي من بركة رؤيتها ورأيها اخر وانا استودع الله نعمتها وولديها
وولده واستصغي لهما تسهل العيش وموزله وا الله تعالى في حراسته حوزتها
واياكم الله ان يخيب من قصده اخر السعيد وولده اسعده الله لا
اوخر ذكرهما والسلام عليهما الى اخر الكتاب لا حتى يكون الخاطر قد ترقع ما يشغله
والتي ما على طيهم في الكتاب وخف ما يحمله فذكرهما الله ذكرى يسعدهما في الدارين
العاجلة والاجلة وسبغ عليهما النعمتين الباطنة والظاهرة اخر السعيد
وولده في ضمان الله وذمته ونعمته بطول بقاء لا اخلوا من نعمة والسلام من موصول
بشعرهما ما اتصلت نعمتي بنفس وضوء بقبس والله يحوط شملهم ما يفرقه ويحرس
خاطري منهم ما يفرقه اخر الاحلان الولدان اقرأ عليهما سلام

وجاء الناس بالقول من كثب ولم ينالوا ما ارادوا ابعد الجمل
والطلب ولا ظفروا بهذه العيون بوجه ولا سبب وما
رأيت اغرب من مطلع هذه القصيدة ولا ادل منه على شطارة سلالة
طبع ولا من بيت الكسوة ولا ادل منه على صلابة نبع ولا
من بيت الورق الخضر ولا ادل منه على رقة وشدة نزع ما هو الا
مالك عنان الفضل في عصره وواحد كل دهر ولا ابيح لهذه المنقبة
لدهره ولا تعصبت الا لغيبة ابن المعتز عن ان يسمع ما تسمع
فينقطع بفضله كما انقطع ويكف عن عذرا بوجهه ويغض عن علوا علم
تشبيهه ويوافقه انه اتكا واحمل على ذي الرمة فاخذ في طريقه مشتملا
منه برفيقه فما ترك له تشبيها الا نقله وصقله واستعمله واستعبده
ورقعه وزنجره ولو تؤمل شعر ذي الرمة لخرج منه ما قاله ابن منه
وعرف انه عال على غيلان فغار على بنات فكرته وكان ابن المعتز يخلع
من تلك البلاغة خلعة من تلك الخلافة بوماه ويرع عن
القول بما منه من المبايعين والمنازعين فوماه وكان يصدق شيخ
البديع اذ يقول ولكنه صوب العقول وصاحبنا بهذه صحيفة

الديم وصحة النعم وسنح بجده القلم ما استانس الا بمقتبسه ولا
راى مثلها ولا يرى ولا ترى ولا اخرج الا من كيس فكره النقود التى
تباع بها العقود وتشترى وما علقت بهذه الدرر بشفتى ومع معاوده
تاملها فانى اعاود وصفها واقتبس من نار نضارتها واعطفها
وانعم منها عليها واعيد بضاعتها اليها فان اجل الحسنا فيها وجهها
اوصف لها من واصفها وقد تجاذبت الهمم روايتها فان فهمها
راس مال فى فصل الخطاب وتناوبت الاقلام نسخها فانها طمان
لا يعيدها الا الكتاب وهذا افضل الا اشتهى او اشتهى عنه ولا يبالغ
فيه الا ويلتمس العذر منه قلت هذا الفصل جواب عن قصيده
رائيه كان سبب نظمها من الشام تبرزه من دمشق عايدا الى مصر
فعملت القصيده الرائيه المشار اليها امنيه فيها بالقدوم واعدتها
لاعرضها عليه اذا وصل ثم قدر الله تعالى انه تاخر فكتبت له كتابا
شرحت فيه القصه فى القصيده وتقدمتها اليه وانا اورد عيونها
وانبه على الابيات التى عناها ونبه عليها فمطلعها الذى قال فيه وما

اقتطفت من جناباتها ره ضا الاعشر فى تلك الرياض وما كل كله منه اولا
كله والكماه حملة السلاح الا ان بهذه خلاف تلك تدمل الجراح وما يصلح ان توصف
تلك المحاسن الا بمثلها بل تصلح ان توصف بهذه التى دونها ليعرف لتلك من فضلها
وهذا الطويل كله ليكون ذلك بكتب طويلا وهذا القليل جميعه لتكون المجلدات
ولا اقول الكراريس لتنزه فليس من يخفى عليه ان الحاصل كبير وان الذى وقفت
عليه خردله من بيدر فعل بهذه المقدمه يكون الاستنتاج وان كنت قد اخطات
فى الاستدراج فكان ينبغى ان اسكت الى ان يصل المشير ثم اطلب ما تاخر لكن
الحضرة ما منها مكتم فى الخيل المتشعبه والمطامع المذنبه ولا الوم فى ذرع السموم
لن قدم فى هذه الاشغال الطويله حضور القاضى السعيد ومحاضرته و
ومفاوضته فما غاب شى منه وان جل غايض قلت علم الكلام الذى
اشار اليه هو فصل من كتاب كنت كتبته اليه وشرحت اليه مناظره جرت بين
الشريف ابى القسم الحلبى وبين الرئيس ابى عمران اليهودى وهو مجلس طويل عريض
لا يتسع ذكره فى هذا الكتاب فصل اخر الى بخط القاضى
ابن زكى الدين وقد علم الله ما كان عندى وما بقى من معاتبتها فى اخر مره قلبى ودادا
ومره قلبها ولاذا القاضى السعيد عافاه الله وقد شرحت العله ولم يلم بذكر
انفصالها ورايت فى الكتب من غيرها ما يدل على اشتبات الصحه لبعد

سنالف

اقبالها وما يخشى على الاجسام الضعيفة والاعضاء النحيفة الامن
النكس التي يليها ما وهي كليلة الاحتيال قليلة الاحتمال فيحترز منها
وليس للانسان والله ان يحترز وينتهز في مداواة الامراض فرصة غض الشباب
واولا فان المشيب يعجز المنتهز ثم قد علم الله تعالى مسامعي لهاتي الوحشة من شيخنا
العفيف رحمه الله عليه وفي الاستهجان بعده لشملها العتيد وعدمنا من كنا
بعفوه اوثق منا باجتهادنا وبنومه اطيب نفسا منا بتهجدنا في عباداتنا

وهذه اخر صباح الحي الذي انتهى به في ليل الحياة السرى
وما الدهر والايام الا كما ترى   والله يتغمده على رضوانه ويجزيه باحسانه
عن احسانه وبلغني حديث المرثية ومن العجب ان يبلغني خبرها من غيركم ومن القبيح
ان تحوجوني الى ان اطلبها من سواكم ولقد تكفي الاشارة فلست كان
جدي رحمه الله قد توفي بحمص وانا مريض في شهر رمضان سنة ثمانين وخمسمائة وكان
عمره ستة وتسعون سنة فشيعت جنازته متحاملا وعدت منها محمولا واشتد
المرض وحضر الياس ثم من الله تعالى بالعافية ووهب المهلة فعملت مرثية الجد
ذكرت فيها موته ومرضي   اولها

كانت جفوني لما لم تفض بدمي   لكن وفا الجسم لما فاض بالسقم
وما بكى الطرف مني وجده الما   لكن بكاه جميع الجسم بالالم

شيخي وموتك يا يميني في قرن   بل قل اذا شيبت ما بينهن في امم
نعاك ناعيك تلو عجائب محاسنه   وقد نعاني تصبري حال الاسم
خرجت خلفك محمولا كما خرجوا   بجثمانك الطهر محمولا على القمم
يا حسرتي اذ اراني اثقالهم   وما سعيا لا على راسي ولا قدم
قد حزت حسنك ميراثا فكنت به   احرى واولى من الاولاد كلهم
تركتني لشقاء الشيب اعرفه   وانت من جنة الفردوس في النعم
يا ساكنا بين جنات مزخرفة   بالنور انا من الاحزان في الظلم
كم قلت يا ليت قومي يعلمون بما   بهم يعلمون فلا يعلم بما بهم
لم يغن من جنة الفردوس ذكرهم   وانت ما زلت لا تنسى ذوي الرحم
وكم حفظت عليهم عادة لهم   حاشا لمثلك ينسى عادة الكرم
لقيت ربك مشغولا بروضته   في التلفت الى حور ولا خدم
خمسا وتسعين تسعى في عبادته   لم تشك من ملل فيها ولا سام
قد انحنى الظهر واهدت قواعده   من الركوع اليه لا من الهرم
سهرت منتصبا لله محتسبا   ومن يرد جنة الفردوس لم ينم
ترفعت همة بامت تخالفها   وفي العبادة فاتت رفعة الهمم
عبادة لم تكن الا لخلد في   وما الملائكة منه موصوفات بالعظم

وجنة الخلد بالأعمال تدخلها لا بالحظوظ كما قالوا ولا القسم
من علم الله فيه انه سعد بشرى الشعادة قبل الخلق في القدم
ومن صفت منه عين في الفواد راى ما خطه الله فوق اللوح بالقلم
يا راحلا وجميل الذكر يخلفه بقاء ذكرك مسلاة عن العدم
ان افتقدت فذكر غير مفتقد او انهدمت فذكر غير منهدم
خلفت احدوثة حسنا طيبة وتلك ارث ولكن غير مقتسم
بل العدو ومنا المجد اجمعه صنايع لك عند العجم والعرب
فالخلق تثني بما اوليت من حسن والخلق تشكر ما خولت من نعم
ما زال برك فيهم ملء كل يد فصار شكرك منهم مل كل فم
ينعى اليك بمن كنت تكتمه وكيف تكتم نيران على علم
فالجود بعدك شمل غير مجتمع والبر بعدك عقد غير منتظم
لم تلتفت قط للدنيا لتحرزها لكن لتحرز فيها مغنم الكرم
كم قام غيرك للدنيا وكم قعدت عنه وقامت لك الدنيا على قدم فلم تقم
زهدا دعاك اليه حلة شهدت بان طبعك مقصور على الحكم
سقى ثراك رضوان ومغفرة اذا سقا الترب بهطال من الديم
فانت في الترب حي مدرك فرح ما كل من مات معدود من الرمم

كطيف ظله بيت انت ساكنه والبدر ما زال يجلو ظلمة العتم
بني ابني لما زرت تربته كانني داخل منها الى حرم
من لم يقدم كما قدمت من عمل فسوف ياكل كفيه من الندم
وسوف يدري اذا ما الموت ايقظه بانه كان في دنياه في حلم
لا تحسبوا كل ميت مثل ميتنا هيهات هيهات فالموتى ذوو قيم

فصل آخر بخط يده موجب هذا الفصل انه كان اقترح على جمال الملك ابن المامون ان يعمل تاريخا للدولة الماضية بمشاهداته فيها وما ادركه منها فكتب الي والدي في ذلك والى تاريخ المامون يوشح فيه ويحشد ويكثر ولصنعته معه كتابا وتاريخا مستقلا وليسد القاضي السعيد حرامية بتهذيباته واقتراحاته تملك ويفيد اجابته ويذكر فيه سمة الدولة وذخايرها وتحفها وجواهرها ونفايسها ورسومها وكسواتها ورقوعها ورواتبها في خزاين كسوتها ومؤنات مطابخها واخبار دعواتها واثاث هماتها ومعاني مجالسها وايام محاضرها وايام ركوبها وهيات مواكبها وتجملات اعيادها ورسوم همها طاويها ورايانها واحتفالها في مراكبها وحلي مراكبها و بها المخلقة في لباسها في ايام ركوبها وفي اقسام اعيادها وفي اوقات طروق مساجدها وجوامعها ومشاهد

وجبايتها وفي اوقات افراحها وركوب صيدها ومجالس انسها وتقدير العدد
الذي كان يحيط به قصرها ويشتمل عليه مواكبها واحوال وزرائها ومراتب
حجابها وزوارها واقدار استاذيها وخدمها ووظايف اطلاقاتها ومقتضى
تقليداتها واطلاق ايدي وزرائها ومبادي احوالهم الى ان ترقوا الى وزارتها
وعواقب امورهم عند استحالة الدنيا عن حالاتها واحوال اصحاب دواوينها
وكتابها وتلك المجالس التي كانت تدرس في مدارسها والطلبة وما ينقلون عن
مشايخهم ومن طار منهم ومن وقع ومن ارتفع منهم ومن اتضع وقضايا الامرا
في مقادير ارزاقهم واسبابها وتفاوت رتب منازلها واطوارها وذوي اقصائها
وما كان يؤثر من عطاياها وصلاتها وهباتها وادرار ضيافاتها ودار فطرتها
وتنزهات اصحابها وعزة تشبيهها وما احاط به دفتر مجلسها والقايمون
بمصادراتها والتاويلات السو في معاملاتها وتذكار العواقب لينتهي
من ينتهي اليه الخبر من اهل وحسن عواقب المحسن المستبصر ليتبع الخير من
كان من اهل الاحسان ففي ذلك ثواب وصواب وهذا المعنى مراد الله تعالى
بقوله افلم يسيروا في الارض فينظروا **فصل** من كتاب اخر الى
ابي عطية وقد ذكرت من مرض القاضي السعيد وفقه الله وعافاه ما الله فيه لطيفه
وان كان في فاتحتها الابتلا ونعمه وان كان نما في طالعها فما اوجب الله الا انجحا

وذلك انها انشبت ما الولاد وعد لما الا ان تمادى العهد وطال
الامد ففرج عنها بعافية الفرج الذي لا يشغل للشكر عما كان يشتغل به من الصبر
والحمد لله على كل حال ونسأله الخير لنا ولها في كل بال **قلت** هذا جواب
عن كتاب كتبه الى ابي يعلى بالمرض الذي تقدمت ذكره وتوفي جاري فيه **فصل**
من كتاب اخر الى والدي استلوحت من كتاب الحضرة ان القاضي السعيد وولده محزونان
لفراق من فارقاه فاما الحادث مع القاضي السعيد فان تقديم الحرم من النعم واما
الحادث مع ولده فلو نعى الاصل والفرع لما كان في دار العدم ولا وحشة على من استبدل
ولا من الحلم والله تعالى الخليفة على دعائم هذا البيت واركانه وهو المسؤول في زيادته
والمستعاذ به من نقصانه وان كان لا بد من عدم فلا عدم شيئا غير اجنابه
قلت هذا جواب منه لانه اعلمه بوفاة ام ولدي وكتب في هذا المعنى اليه
ما نسخته وضاعف عندي وفاة ام ولد القاضي السعيد وعز علي عدم ابي الحسن اباها
وتجدد الحرقة عليها وفراقه منها وعز علي قلة صبره وشدة جزعه وهو بحمد الله قد تحقق
الرجال في العمر وارجو ان يلحق السادة في العلم والحظ والله لا ينقص الحضرة عددا
ولا يثكل لها ولدا ولا يكدر من عيشها موردا **وكتبت** اليه اعلمه
بموتها في جواب كتاب جا منه وفي هذا الشهر ماتت ام ولد المملوك فالله ماذا فجعت
وماذا اوجعت وماذا ابكت وماذا انكت لولا الحيا لهاجني استعبار

لو بلغت القرنا آن ان يتفرقوا لبل بكر عليهم ونسهار كانت والله فريدة صالحة بجهها
الملوك وصدعاه في جدي علام مراهق والى الشابات المفارق فما رأى منها
الا الصحبة الصالحة والا المحبة الناصحة والا الديانة الراجحة والا الحفظ
الغيب والا الايمان ولا ريب والا السلامة ولا عيب والا الاصابة الدل
والجيب ولولا ان الموت اكرم نزال على الحرم ومن العجز ان يحب الرجال تشكي النسا
لبل الملوك وناح وشكا وباح وغدا في الاسف وراح الا انه باوي الى جنابه
ويرد الدمع الى وزانه فللناس بالناس اسى وكانت بكى وجوه في الثرى
وفي غير من قد وارت الارض فاطمع

فصل من كتاب الى ابي بحط

بلج ووصل كتاب الحضرة السعيدة ابقاها الله والى الآن ما قراته الاصحا ولا نظره
الا الملحا ومثله يزيد فهما وايعا وقلبا خاليا فان الله لا يجد منه لعطا الاجدد
منه معا لم يطيقها احد قبله ولم يتعاطاها متعاط الا انثني فضله والقاضي
السعيد واحد دهره وكل اهل الادب عليه عيال وما السلف مع هذا الخلف من
الدنيا ارتحال قلت هذا الفصل جواب عن كتاب نال عندي نسخة

فصل من كتاب الى ابي حط ابن زكي الدين

ووصل كتاب من
القاضي السعيد وقصيدة من نظمه وما اعرف كفوا لها بفهمه وحضر جماعة

فراى كل منهم ما اغمه وتحققوا ان البيان قد عصاهم والطاعة وزيادة فيه
بنيه على الشاعر بن القاصر بن عزابه ووددت لو سمعاها فعرف كل واحد منهما ان
يومه قد نسخ بغده والذي ذكره في القافية وانها متباعدة غير متساعدة وجامحة
غير جانحة وباردة غير وافدة صحيح لا يعلمه الا من ركبها و وطالعها
فاطلعه وبالجملة ان محاسنه لا امتن بها محاسن بليغ لان بادر البليغ رايت له ونادر
لا يلحقه لاحق كالابتسمة فقط سابق ومن السعادة ان المثنى عليه بالفضل صادق
قلت هذه القصيدة نونيه عملها في وزن قصيدتي ابي نواس ومهيار وقصيده
ابي نواس التي اولها عزمتم من الرجال امرا فعمنا فلو قد فعلتم صبح الموت بعضنا
وقصيدة مهيار هي التي اولها نبل من الدنيا وقد اوزعت بنا الى دوحة لا ظل فيها ولا جنا
ونبهت على ان القصيدتين ما فيهما فائدة وما منهما الا فاتر فاما القصيدة التي
عارضتها بها فاولها احدث عنكم ان بعدكم دنا فلا انتم ان صح هذا ولا انا
ولا صح هذا او يصح من الضنا جفون لكم من سحرها طلق الضنا
ولا يدخل البين المشت تطفلا فكم ليلة لم يدخل الثوب بيننا
الى ثم ابعد باسرور ذي صبابة اليهم وياهى عليهم لا هنا
وفيم بنترا واستصحب الوصل والحشا جيب باي يحصاو وصلا ومشكا
الذي كان احبتنا

اسم به من

وما زالت الايام من لوم طبعها تغير لمغنى او تشتت لنجرنا
وقفنا على جمر الغضا فكانما وقفنا على اوطانهم من قلوبنا
وبادية للوحش اما قلوبنا عصفنا واما الصدع منه فبحنا
بها نظري او وردت ما حسنها وما هي من اوردت ما مدينا
وغانية تغني فتطغى بحسنها واشهد ان الفقر خير من الغنا
وقالوا اجلها الهلال اذا بدا اهلت ولا الغصن الرطيب اذا انثنا
وما اجتني الورد الذي فوق خدها ولو انني قبلته كان لجتنا
وتعبسها في ملى الما والصدى وجل عن التشبيه بالعنب والهنا
تلوث الايام فيها وطالما لبست عليها ثوب دمعي ملونا
وما مثلت فيها خيال بدايع ولكن فم قد مد بالبيت السنا
وقد كنت اشكو اينها فتكه بين حينا منه الزمان بما جنا
فاثقل من من جنح عنه واضعف بعد ذقنه صار اهونا
بعدت فيا سوقاه عن ابيض الحلى وعينيا لهفاه عن اخضر الغنا
عن المالك الاملاك رايا وحكمة واكرمهم اصلا وفرعا ومعدنا
وفاضلهم بالعلم والحلم والحجى واملكهم للمدح والحمد والثنا
انسج مدحه العالي وذرى والعد او بح بابيته الجالي وذرى من الكنا
ولا شك ان الشمس ابن طلعة برا انما ولكن فضله كان ابينا

قد
ولا شك ان الجود صار قليلة من الناس لكن جوده صار ديدنا
من النفر البيض الذين وجوههم تبين اذا وجه الزمان تلونا
وما دعت الاضياف السن نارهم ولكن دعتهم للندى السن الثنا
فلا الوجه مقبوض ولا الصدر محرج ولا العرض مبذول ولا المال مقتنا
بجوم مديح الناس حول نوالهم وجول الندى حام المديح ودندنا
مضوا وجميل الذكر باق وصو ونعمتهم عند الورى غصن الجنا
ولما اتى عبد الرحيم اتى بهم وانشاهم فينا واحياهم لنا
واني ولا انقص علمهم عليهم وزيرا اقام الملك والدين والدنا
تمكن في دست الوزارة مالكا وما كل من رام الجلوس تمكنا
ولما علا شانا لقد دنا العلا ولما بنى الجنى لقد اجتنى البنا
فلا يقدر الاقدار يدفع ما قضى ولا يستطيع الدهر يهدم ما بنى
له عزمة لا ترتضي الدهر صارما الا همة لا ترتضي الافق موطنا
اذا قال قولا اصبح الخطب صامتا وان صال صولا اصبح الدهر مذعنا
يرى ما اتى من قبل اتيان وقته فكدنا وحاشاه نقول تكهنا
يصين صدر السيف بالقلم التي اعادت لسان السيف في الغمد الكنا
جلا شانه ان الخلق جاز ملى الندى فافعاله مثل الحديث
اعوذ الهي من معدان انه اشاح الحبشى للهم والحشم للضنا
وليس تجاز من سعادة ما شجا ولكن غناه من بعاداك ما عنا

الينا

نايت فلا رشد لدينا ولا هدى وغبت فلا ظل علينا ولا جنا

فما اوحش المصر الذي انت اهله اشد زمانا وجده ثم اعلنا

على مصر لما ان رحلت كآبة اعادت بها وقت الظهيرة موهنا

كانهما السقام والحداد بعاده فانبتت الابصار اوسوسنا

فانت هواها لا تسليت عن الهوى وانت مناها لا تخليت من المنا

ومن كل شيء قد حسبت تحرزا وما كنت اخشى ان تقيم وتظعنا

فصل من كتاب الي بخط يده واما اختيار القاضي السعيد من الحيوان للجاحظ فقد نتج من رقه في ربع ابي عثمن واطلق كانه من محاصرة الاطراح وكان كمنزل دار عفى وذكر به بعد ما كان نسيا منسيا واعاد شبابا وكان قد بلغ من الكبر عتيا ولا شك ان بسيل اختياره قد ذهب فرحا وثمن انوار قد درنها وحال الجاحظ مع من قبله فيما اخذ منهم كحال الجاحظ مع من بعده فيما اخذوا منه فانه ينبغ في اقوال اقوام لعل منهم من لم يبلغنا اسمه ولم يدون لنا كتبه مثل سالم مولى هشام وعبد الحميد وخالد بن ربيعة وابن المقفع وعمارة بن حمزة وسعد بن خالد وعبد الجبار بن علي عدى ويحيى بن زياد ومحمد بن زياد وابي عبد الله الموريانى وجعفر بن يحيى البرمكي واسمعيل بن صبيح وانس بن ابي شيخ ومحمد بن الليث وهذا الرجل كان له لاحقه بالطبقة العالية التي اشفاقها علي بن ابي عثمان وثمامة ابن زيد والفضل بن صبيح وعلى بن عبد الحميد ومحمد بن حمزة وبكر بن حماد وحمزة بن سليمان ويونس بن مرة وحماد بن موسى ومن المتاخرين

حيوان ج

من هذه الطبقة عمرو بن مسعده وعلي بن عبيدة واحمد بن ابي يوسف وسهل بن هرون ومن اراد ان يعرف اختياره فلينظر الى ما تكلم به في شيري المامون فيراه فيها جالسا على كرسي مملكة البلاغة السليمانية وشهد ان الله تعالى وهب له ملكا لا ينبغي لاحد من بعده وخطب العرب جاهلها واسلاميها ومخضرم مواد دولتيها ممن قد دل عليه كتاب البيان وقرونا من ذلك كثيرا واذا رايت ادبهم رايت نعيما وملكا كبيرا واذا تاملت ما عملوا رايت عقدا منتظما واذا تاملت ما عمل الجاحظ رايت بهما منثورا فكان حاله معهم الثلاثة الذين كانت الحضرة السعيدة تشهد لهم فصارت تشهد عليهم فقد كانوا عدد ما في جيش البلغاء كالثلاثة الذين خلفوا بعد السابقين ورفعهم بعده وقد كانوا معهم من الصادقين وبالجملة فان كتاب الاختيار بما وصل وقد تسلقت المسترح به وامضاى عنهما الشوق اليه فليشد وصل ونحن في عكا وكان انيسنا في الغربة وجليسنا في الوحدة وهذا امر لا يغني من كاتبه وضامنا لاقبال الطرب اذا اعرض وتانى بجانبه ولو اختار معه البيان والتبيين لجمع في عقد واحد من كريمته بل لو اختار كلامه كله ورسايله كلها لكان يغني في الغنى عن الجاحظ الجاحظه ويشكر في الغاية اذا استوفى درجة البلاغة به مونة المحافظة فلما كنت قد اخترت كتاب الحيوان للجاحظ وسميته بربيع الحيوان ونسبت اليه في هذا المعنى ما نسخته وقد اختار الملوك كتاب الحيوان وترجم المختار منه بربيع الحيوان وكل كتاب بعده جاد وكتبه البلاغة

الذي ما له من نفاد والبحر الذي لا ينزف ولا يبلغ ثره والاعجوبة التي لا توصف ولو انطقها
بلسان تقابلها المادح ولسان الملوك لتعقد عن ان يصفه ويطريه ونهاه عن الحديث
فيما لا يدريه فما وصفه بما يطمع الالسنة الفصيحة ولا حسبه ما تستح له الاذهان
الفسيحة وبالجملة فان ذلك الكتاب ادهش الملوك وادهشه وانسه واوحشه واجمه
واخرسه وحيره وشوشه ووجد منه الضالة التي كان في طلبها بعد وتوقع ومثلها
يطلب ويروع وعلى مثلها يحوم ويحوم وكان سروري لا يبقى بندامتي على تركه في عمري
المتقادم وقد عزم الملوك على ان ينسخ الاصل بيده ويحفظه لولده ويجعله جنته التي
يجني اكلها كل حين ويجتلي ابكارها الحور ونها العين ن
فاذا كنت لي وفيك الذي فيك فما حاجتي الى البستان ولقد راى الملوك في النسخة
التي استعارها واختار منها جزءاً بخط الجاحظ فراه خطاً جاحظاً مضطرباً
متهافتاً فازدراه عند ما راه ثم نبل في عينه وحسن في نفسه وحل في قلبه
وامتلا منه صدره بهمه وزعبا بعد ان امتلا به شغفا وحبا وصار عنده احسن من
الخط المفصل اصله انما هي معجزات ذلك الكلام الذي فاض سيده على الخط فجلاه في احسن
الصور وجعل تلك الاحرف المفردة في الاعين من عقود الزهر ومن بركة هذا
الكتاب على الملوك انه اراه احد من ثلثة كانوا عنده البراعة وكان يستهجنهم بكرة
وعشيا الشريف العلوي اولهم ابو الفضل بن العميد وثانيهم ابو حيان التوحيدي
وثالثهم الوزير ابو القاسم بن المغربي ولم ينل من الدعاء اليهم ومن الغلاة فيهم الى ان

ملك الله اسنانهم بهذا الكتاب وعلم انهم كانوا ادعياء البيشون عليه الغان
ولصوصا قد ادخلوا على تلك البحار وشلوها على الثقف كل واحد منهم كان ولا سيما
الوزير وسبحان الله لقد كان لطريقته من المتكلفين وبها من الكلفين و من
المتاخرين وتستحي منه عادة ان ينقل من المتخلفين ولا سيما
الاول منه ولا على العقرة اذا استعارت حلل الفتية ولا عتب على من التقط
جواهر منكرات حتى صارت في الطرق مرمية وما للملوك فضل على اختيارات وما هو
الا الاختيار ولكنه اختصارات وما جاء من شيء فله حسن فسبحان من يزيد في
الخلق ما يشاء ولم ار امثال الرجال تفاوتوا من الفضل حتى عد الف بواحد ن
فصل الا ابي في هذا المعنى وقد تشوقت الى كتاب القاضي السعيد
فانه خواطري المسمى كتاب الحيوان وحديث القاضي السعيد حديث سعد
وحديث ابن بحر عنده وان تعترك ان كان وقد اذكرني المولى بنفسها فوددت
لو اختار كتاب البيان فيجمع لي بحر اختيارات النونان فيها ه وفي عسكر
تصانيفه حاميناه بل وددت لو اختار كل كلام الجاحظ فمحاسنه و
بالاختيار تتناول منها الكبيرة دون الصغيرة ومنها ايضا تجرد الناس طرق
الجاحظ السهلة لانهم استوعروها وغابت منهم مادة الطبع التي املته لانهم
ما حضروها وقد رايت للوزير ابي القاسم اختيارات له في اوراق قربه وما الي
منها بغريبه وهذا الاختيار الوارد لا اشك في انه تناول الارواح فترك

الصبور وارتفع الى الصدور فلم يلم بالسرور فصــــل آخر من كتاب
الى الملك بخط ابن زكي الدين القاضي السعيد ابقاه الله واسعده وابعد زمانا اتاه
وابعده مخصوص بتحية حسنة وبهدية طيبة وكتابه ورد في معنى الصليب والخبر
معروف وهو من اكثر التواريخ والاخبار عن الانس ويشبه ان يكون من انفعالات بالحاضر
ابن المقفع والامر ابن تلك الهباء والدعاء لا تشتمل على مثلها وما مضى منه شبيه
منها فلو فتش على تلك المبالغ من الذهب والفضة ذلك من الخيل والبغال لما
وجد الوجود مشتملا عليها ولا تحيط الاقطار بها وهل هذا الصليب هو المشار
اليه في الخبر او غيره فان صلب الصلبوت كثيرة وفي ايدي كل جنس من النصارى
والفرنج انه اياه وانا شاهدت في القصر صليب صلبوت وكان مصونا عندهم
ومن خواص ذخائرهم وانجع واستخلف ملك الفرنج عليه ثم غاب عن خبره ولعل
الحرب من صليب الصلبوت لما هو مستقر في القدس لا كانت ساعة فول الاقطار
منها فعليها من كل دم طلب لا يغفر ودم لا يجف وسيف لا يغمد وكانت الحضرة
انعمت بكتابين احدهما بخطها فيه الاختيار والاخر فيه الاختيارات الحلفية
وسلاح فلا زال الى ان اوصلها الى العسكر وشاهدتها واستحسنت ما اختار
وامرت بما امتاز ومن اشفاق عليها وانهائي للزمان فيها ولقد جنبت
مزعج او حب بخفيفه ما في الخيام واذن بالرحيل بعد المقام اعدتها في درجها

واضفت اليهما خطا بخط ابي عبد الله بن مقلة من الملكه الذي لا ينبغي لاحد من خلقه
بعده ومن سحره الذي انزل على الملكين ببابل هاروت وماروت مثله وسلمتهما
الى عمر والملك الله منه زيدا فلم يسمه احد طريقة اوله ان خطهما بل فرط فيهما الى
ان دخل السلطان زمن هذه الكتب فلعله اطفاها ولكن اخفاها ولعله اعرفها
ولكن اطفاها فبعد ان كان الذي كمشكاة فيها مصباح صار ظلمات بعضها فوق
بعض فلا حول ولا قوة الا بالله ذكرت هذه الشكوى لبديع تحتها خبر وصول الذي
الى وجوه على هذه الحضرة التي اوقدت جمرتها بين جنبي على ان اهل الجحيم في
شغل عن النعيم والموقع يغنى الله لا يلغي لا يجليها لوقتها الا هو ليس لها من دون
الله كاشفة فليت هذا الفصل جواب عن كتاب كتبته اليه بعد فتح عكا
واشار الافرنج اليها واستبطاهم باخذ صليب الصلبوت من السلطان مضافا الى القطيعة
عن الاسارى وتضمن الفصل لكن زالتها ولما جرى فما جرى من امر عكا وتم ما سمع
فيها من تقرير القطيعة التي قطعت على اهلها احسن الله خلاصهم ويسر فكاكهم
كاد الملوك يشهد شهادة الله بسبب الصليب الذي هو الذاهم فكان امشيرا وكتب
مسفر لنا ان يزكيه الى ان يرتهن ما عليه الاسرى واي عذر لنا الهنا وقد
على الهم اذل نصله النار ولم نجله ذات البوار ويقول لهم انكم وما تعبدون من دون
الله حصب جهنم انتم لها واردون وقد كان الملك قال الوقيل قوله في القصيدة
النونية كل معبودهم كثيرا انبيرا مستقصا ما فاجعل له النار

سياه

اما بهذه الايام السود طالع المملوك نسخة من شبه الغرض استعارتها من فلان فوجد فيها
وحزم ابرويز في امره ولونه لم يحملك الزوم الى دفعه بيع امادي فيصير عنده وتمليكه
اياه واجرة له بثار ابيه وقد كتب المملوك لهمه قبل ان ان ابرويز لما قبض
على ابيه ابرويز وقيل ان يقتله نفذ اليه بعض وزرائه يوبخه على افعال فعلها في ايام
ملكه منها ان قال له وكيف تعد تبصر فيما كان من حسن ذلك فان ذلك مليكه الملك
ونزو يجبا عنه لك بان [illegible] وصنعته طلب حسبه فاجله ما منع بها الصليب
[illegible] عليه السلام بزعمه عليها فاجابه عن هذا الفصل بكذا فعجب المملوك من ذلك الحزم
الذي حمله عليه العقل لا الشرع ومن هذا التفريط الذي حضر علينا الزرع والعقل
ثم بعد هذا بلغ المملوك من المشايخ الذي ان السلطان ادام الله ملكه ورجع عن القسطنطينية
وامتنع من اعطاء الصليب وبهان عليه بذل الاسارى الى ان يحكم الله سبحانه
على جاري عاداته وعلى مالوف سعاداته وما ذلك على الله بعزيز وما كان الله تعالى
ليهدي الى ذلك الراي ابرويز وهو الكافر ويحجبه عن مولانا وملكنا وهو الناصر
ادام المملوك بابه [illegible] جمعوا فصل من كتاب الى الاجل وقفت على
كتاب الناصح السعيد وكل ما وقفت عليه مرة يشهد بالاحسان ويوجب على سامعه
له الاستحسان ولولا اني اوثر فوق ما اطمع واظهر من محبته فوق ما اصرح
بحاله فيما اشار اليه مما لا يعترض عليه ووددت لو كان معرفة هذه الشروح بسطها
وشعبها وطيها وكانت الايام الطويلة تقصر والمسافة الغايبة بحضوره تحضر

والاهتمام المحمول عنه والتهنية التي تواليها والتشوق الى المكاتبة التي له
قدم صدق في ارثها وما اجدر هذه القصيدة ان تكون كاختها في
الاصابة بالامر عن الواقع وبالوصول الى المقصود دونه مما شاء الاقدار
من الموانع وبالجملة ان اهل هذه الصناعة وقفوا خلفا وتقدم اماما وانت
السماء وهم دخانا وانت غماما وتاخروا وان تقدموا وتقدم وان تاخر
وقصروا وان سبقوا وسبق وما قصر فانه لا يوقف له على بديعة الا
والتي بعدها ابدع ولا على واقعة الا والتي تليها اوقع وان محاسنه بالعقول
الملازمة النجوم بالافلاك وانه لا يملك خشية الاتفاق بل ينفق حسنة
الامثال ولقد تجربتها فعرفت في تجربتها وتخليت دونها وتاك
عشرو لما طلبت وجه نشرها وطويتها ونشرتها حتى وقفت لها
فارقت لطيها ونشرها واخذتها لاخذ وصفها عنها وسالتها
ان تعرض لها منها فاذا الصفو يفضح الكدر والتمر لا يجتمع هو
والقمر وما قدرتها حق قدرها ولا بلغت بعض ما في نفس امرها وما
نسبة هذه المكاتبة الاولى الا بمن جاعد كلهم براجعين الاقوال ويشغل قلبا
لغير الاشتغال وسعا قد ازدحمت عليه الاحاديث في فيه يشكو اضيق
المجال فاما كراريس المجموع التي تفضلت الحضرة السعيدة بها

بانقاذه فان هذا المجموع اغتبط في نشر العشر من كراريسه وما كنت
ارجو الا ان يبلغ ارذل العمر فان ارذله افضله وافضله اكمله ولا بد من
تتمة يتمتع بها ما بين الجلدين ويتباعد بها ما بين الدفتين والانسب
الى الحكمة من ان يعتدل الرجحان من تفضله والى الضيق ميدان مالوف
السعة من تطوله وان يسر الله الاجتماع احدث بتارك المطلوب
واستمتع ناظري في ذلك الوجه المقبل وان ذوقت مشاهدته لما جاء
عائدا ابدا شوقا كان مختصرا بل اكتب فيه محتضرا فلله الايام ودون المامن
مرته ولا قطعت الورد من غصنه وان كان الجمع تحله فتم من الدهر
الغابط وغابطة رضي من الحظ الغابط فلا عدمت فرع الحصن
الرشيد واصلها ورحم الله بحرها وابن نجلها فقد احسنتم الى
احسانين اجلهما ارامن في الدهر الحاضر والاحسان على الدهر
الغابر وما يوحش   الانس من ولا يلغز بها الاكابر ولقد
وددت لو اقدرني الله على المكافاة من غير ضرورة تبين لها ابنا حنكم وان
يسهل الله راحة قلبي بالجلبة على يدي ولسانا من لطفكم فو الله اني ذام
لتقصيري في حقوقكم ومستك   العذر وقد ينبهه

٧٧

الظاهر بعفو بكم ولا تكن النية دون ان يعفو بها فعلها وبني اهلكم وانتم
اهلها قلت هذا الفصل جواب عن قصيدة بائية كتبها اليه عند
وصوله الى القدس متوجها الى مصر يهنانه فيها بالقدوم واشرت فيها
الى القصيدة الرائية المقدم ذكرها فلهذا قال في الجواب وما اجد هذه
القصيدة ان تكون كاختها في الهنا بالامر غير الواقع والوصول الى مصر
ودونه ما شاءت الاقدار من الموانع واول هذه القصيدة البائية
التي فيها الاشارة الى القصيدة الرائية

ذات منك   ما تحب ولتبشرى لها انها ما تحب

الى قوله ايه تجليت عنا الهموم وحيث تفرجت عنا الكرب
وكان النيل قبل قدومه قد نقص نقصا كثيرا فراع الشعر وغلت
الغلة فلما توجه الى الديار المصرية عائدا زاد النيل ورخص السعر
فقلت فيها بكت مصر بالنيل حزنا قديما وعزت على الكتب
الى قوله منها في مدحه

فانقذنا الله بعد الردا واسلمنا الله بعد العطب
تعض لديك عيون النجوم وتخطط دونك اعلى الرتب

واصلهم انت يا فرعهم فلا قطع الله فرع العرب وعطفت
على هذه القصيدة كما جاء من فصوله في ذكر هذه القصيدة ولما علم
المملوك شارع الى عمل قصيدة الهنا بالقدوم والمام عليه لسان
الحال اقتضابا واذن لي الفتح وقال صوابا وحمل القافية على با
واراد تسييرها للمقر مولانا في طريقها فوجدها مقيدة والمقيد
اسير لا يطيق المسير وناشـ بها المملوك لانه يجب عليه ان يسعى الى
اول البلاد الشامية للمقر مولانا وكان هو ايضا مقيدا من الاحسان
بقيود لا يطيق معها الا القعود فحل ابطالها ابا بسد
سيرتها اليه وثبت عليها كما جاء منه في ذكرها كان المملوك قد
شارع الى نظم قصيدة في الهنا بالقدوم وان الباقي فتحت له بابها
وسبقت اليه احبابها وجعلها عدة لئلا يهجم عليه من سرور القدوم
ما يبدهه فيدهشه ويشرح الى العي لداعيه وبلد فينظمها
والخاطر مطمئن والقلب يتفقه بعد ان كان يئن وقال

اخر القيس فقالوا الان بان الصيد بحظ فقال المملوك
فقالوا الان بان العيب بندر وانشي في ملاذ الحلبة انه اراد تسييرها
للمقر مولانا وكانت مقيدة والمقيد لا يطيق المشي ولا في عصاه شبر وتحدد
بعد ذلك انها طلقت وتشوقت لمولانا وتشوقت وابت القعود وسارت
في القيود وسيرها المملوك غريبة وحيدة ليرحم مولانا غربتها ويونس
بانعامه وحدتها ولا يحل عقدها بل حل عقدتها

فصل

اخر في كتاب الى الاشرف ولده بخط ابن الزكي الحاكم ونص الكتاب
السعيدي موشحة فارسية حرجة عربية لهجته واضحة في تعجيز الناعتين
الاولين حجته وقد صح بهذه الموشحة انه شيخ الطريقة والسماك على
الحقيقة ولا انزال والله قد نشت اسماع مناجر الكلام وقد اعقت
ايدينا رق الاملام وقد وليتنا الهمم وبسطت علينا مظالم الاوهام
حتى برد منه كتاب فاذا هو شمس للبلق بعض طلاها كاسه وبقى
منها ابتر طاسه ويغالط ما ياخذ بالانفاس منها ما يستطيبه
ويستقبحه من انفاسه وبالجملة ان كانت البلاغة دنيا فقد الحدث
لا يعده وان كانت شيئا فقد يتعرض للحدس لا يقلده وان كانت

فانما يقعد بي عن طرق البلاغة من لا يليه وان كانت كثيرا ما يقعد بي منها مما
يطوف عليه من يمشي في مناكبها فلا يجده والله يحسن به الامتاع ويسر
به الابصار كما سر بعبارته الاسماع قلت هذا الفصل
جواب عن كتاب كتبته اليه عطفته على موشح اطرفته به لاني جعلت
خرجته فارسية وكنت لما اولعت بعمل الموشحات قد نكبت عما
يعمله المصريون من استعاراتهم لخرجات موشحاتهم خرجات موشحات
المغاربة فكنت اذا عملت موشحا لا استعير خرجة غيري بل ابتكرها
واخترعها ولا ارضى باستعارتها وكنت قد نحوت فيها نحو المغاربة
وقصدت فيها ما قصدوه واخترعت اوزانا ما وقعوا عليها ولم
يبق شيء عملوه الا عملته الا الخرجات الاعجمية فانها كانت بربرية
فلما اتفق لي ان تعلمت اللغة الفارسية عملت هذا الموشح وغيره وجعلت
خرجته فارسية بدلا من الخرجة البربرية وقوله وهو موشح الطريقة
والسناي على الحقيقة اشارة الى السناي الشاعر الفارسي شاعر
العجم وله اشعار فارسية بديعة وهو في ذلك الشعر بذلك

اللسان شاعر مفلق وطبقته عليا يكاد يكون في العجم كامرئ القيس
في العرب وورى بقوله السناي على الحقيقة بتشبيبي الى احدى
سنا الملك وهذا من الاتفاق الذي وقع لذلك الخاطر الخطير الخطا أ
والموشح هذا

في خديك من صنع اللادماب الياسمين
ودع ذا فيا حيرة الواشي من ذا السحر المبين بيام

ايم ولم لا ايم وما لا اود بلالا وقد قيل ريم وقد قالوا اشد غرامي عليه مقيم ولي فيه حسد
بمصر وعلى بغداد من ظبي في عربي وكم مات وجدا وكم عاش في سيح ضيف قتيل
بغر سعاد لمصري عند الحادي الرحل وما ترث الا الصادري ولكن لا سبيل للغيان الا بالبكا على الد
بينهم للخطك سعاد للبين الدارعين وما من لحيتك بطاش بفناء الطايف
فيا طول شوق اليه ويا بهجي عليه وما ذا يكون عليه لو اسرى الي الا لا سر به من شفيع فانت سعا من سيليه
سلا ما من الديار عاد بها القلب والحرف طاش من البشر كم طاش بها العقل الذي حصين
احوم على محرمهم وقلبي يحوم وحسن حبيبي مرحوم ولي قلب يحوم ووالله ان مظلوم ومحبوبي ظالم
سيمنع ظلمي منوشا ذملوك العالمين اما تاسهم بذا عرايش دمار الظالمين
وخود كما شئت ظلم الغض يا ليت اذا ادت تكون حلة لظلمي كانت فلما جئت منه قبل سلك بالفارسي

دانستي كي بوسه من كاز دهان انكشترين
اورا كواي دوست مي باش ببوسنه تم تشتين

[illegible]

فصـــل من كتاب الى واما كتاب القاضي السعيد فقبل كتابي وصل في هذه النوبة ارتياحا الى ما يصدر منه وعلما بفضل ما يؤثر عنه وما رايت اجنس من لفظه الا سرعه ولا اسرع الا لفظه ولا من لفظه الا معناه ولا من معناه الا لفظه ولا من اول قوله الا اخره ولا من اخره الا اوله ولا نطق ولا سمعت فيه الا بعين الهوى واذن الارادة ولا علق ما اسمعه خاطر الانصاف وقلبه من حسن لا خلاف في حسنه وما اقول ان هذه الغاية الا وتعلمن انها البداية ولا اقول هذا البيت انه القصيد او الا تلا ما بعده وما بهم من ابا افسحر هذا ام انتم لا تبصرون ولا عيب لهذه المحاسن الا قصور الافهام وتقصير الايام والا فقد لهج الناس بما تحتها ودونوا ما دونها وشغلوا التصانيف والخواطر والاقلام بما لا يقاربها وسارت الاشعار وطارت بالابلغ مدها ولا نصيبها والقصيدة فانيقة في حسنها بديعة في فنها وقد دلت السبق فيها وانقادت قوافيها الى ما نادت وبيت بغزل ويكنش اردت ان اكتبه من القصيدة فان لفظ الكلفش عزلا به يكفاها

قلت هذا الفصل جواب عن القصيدة السينية التي تقدم ذكرها والبيت الذي ذكر انه اراد ان يكتبه منها هو في الغزل وهو صليبي وهذا الجنس باق فربما تغزل بيت الوجه منه ويكنش فلما وقفت على ما قاله كتبت اليه كتابا واجبته عنها له عن هذا البيت بما نسخته وعلم الملول بما نبه عليه مولانا من البيت الذي اراد ان يكتبه من القصيدة وهو صليبي وهذا الجنس باق فربما تغزل بيت الوجه منه ويكنش وقد كان الملول مشغوفا بهذا البيت مستحليا له متعجبا منه معتقدا انه طلع فيه وان قافيته اميرة ذلك الشعر وشيلة قوافيه وما اوقعه في الكلفش الا ابن المعتز في قوله فانه قال في قصيدته المشهورة

وقوامي مثل القناة من الخط وخدي من لحيتي مكنوش

والملول يعلم انه لم يزل يجري خلف هذا الرجل ويتعثر ويطلب مطالبه فيتعثر عليه ويتعذر وما ان الملول به يسدي ولا انس بان لا الاما جه عند ما هدى وما مال الملول الا الى طريق من سلك اليه طبعه ولا اشار قلبه الا الى ما دله عليه شعره وراى الملول ابا عبادة قد قال

ويا عاذلي في دمعة قد سفحتها لبين واخرى قبلها للتجنب
تحاول مني شيمة غير شيمتي وتطلب مني مذهبا غير مذهبي

وقد قال   ومازادني الا ولها صبابة اليه ولا القلب اهلا وسهلا ومرحبا
فعلم المملوك ان هذه طريقة لا تسلك وعقيلة لا تملك وغاية لا تدرك وقد وجد
ابا تمام قد قال   حسنت عليه اخت بني خشين   وقد قال
سلم على الربع من سلمى بذي سلم فاشمأز من هذا النمط طبعه واقشعر منه
فهمه ونبا عنه ذوقه وكان شعره يمجه ولا يكاد يسيغه   ووجد هذا
المبدع السيد عبد الله بن المعتز قد قال

وقفت بالروض ابكي فقد مشبهه حتى بكت بدموعي اعين الزهر
لو لم يعرها دموع العين تسعدني لرحمتي لاستعارتها من المطر وقد
قال   قدك غصن لا شك فيه كما وجهك شمس سماؤها جسدك وقد وجد
المملوك طبعه الى هذا النمط مايلا وخاطره في بعض الاحيان عليه سايلا
فنسج على ذلك الاسلوب وغلب خاطره مع علمه انه المغلوب وحب
الشيء يعمي ويصم وقد الجاته له واضحة الى ان نظم تلك اللفظة في تلك
الابيات تقليدا لابن المعتز قايلها وناظم امثالها ومن يغتفر له ذلك في
جنب احسانه فاما المملوك فمن عورة ظهرت من لسانه فاجاب
القاضي عن هذا الفصل بما نسخته ولا حجة للقاضي السعيد فيما احتج به من
الكلمتين في بيت ابن المعتز فانه غير معصوم من الغلط ولا نتقلد الا الصواب

فقط وقد علم ما ذكره ابن رشيق في العمدة من تهافت طبعه وتباين
وضعه فذكر من محاسنه ما لا يعلق بعده كتاب ومن نادره وغثه ما لا
تلبس عليه الثياب وقد تعصب القاضي السعيد على ابي تمام فتنقصه وحطه
وللبحتري فاعطاه اكثر من حقه وما انصفهما

ولو كان هذا موضع العتب لاستعتبت قلوب ولكن للعتاب مواضع ن
ونعود الى ذكر الكراريس   اين الكراريس التي من شعره ن
ورسايله وكلفت الحضرة في تحصيلها وورد كتابها بانه قد شرع فيها وان
المرض عاقها فلم لا كانت ميسرها ولا عاصي عن قربها وعلى خاطر الطبلا
بعزاقه بالنظر فيها والنشر وجدة قلب في كثرة المجتمعين المجمعين عليه وقلة
الاشكال له فصل من كتاب آخر اليه وقفت على كتاب القاضي
السعيد وعلى الورقة المشمولة فرايت منها الخد الابيض والحبشي
الاحمر والعيش الاخضر والروض الانضر ورايت مطالع القصايد
فرايتها مطالع سعيده ومبادي حميده وفواتح جليه
كل بيت منها بيت القصيده فاما التاسيه المرفوعة فلا
نعرفها فاعجبتني لانها غير معجبه بل لاني اعلم ان الله تعالى لو
جمع الاولين والاخرين ما قدروا ان يكملوا القصيده من ذلك الجنس

الألوكة www.alukah.net

ولا جاشي من ذلك   فضلاً عن الاجش واذا كانت
لا تدرك فلنتركه لئلا تكون غايتنا اذا ابرزنا فيها طلب السلامة
واذا قصرنا حصول الندامة واما الناشية فنعت طيبها
بروح طينها وقد تعطرت به كل فم يرويه وكل سمع يعيه وهو من غريب
ما قيل في الشيب وما احسبت احداً اوقع عليه بل كل مومن به
فانه من الايمان بالغيب وهو بيت كله فصل وما فيه فضله
ويصول على الانسان اذا قال مثله واما الناشية المنسوجه
الخمرية فاني عملت بها سكرا وصحوت بها سكرا ودخلت بخاطري
على عروش كل بيت فوجدته بكرا ونسخت عندي خمريته الاول
وان كانت طايلة واما البيت الطول عملت بهذا العطر
جواب عن كتاب كتبته اليه عطفته على ورقة من مسودات وكانت
عادته معي ان يطالبني بالوقوف على مسودات شعري ونثري
ويرى ما ضربت عليه وما اثبته فربما راى ما ضربت عليه خيرا
مما اثبته فيناقشني في الحساب ويطالبني بالجواب ويوضح
لي وجه الخطا والصواب بهذه عادته من اول ما ادبني وعلمني

وهذبني فشرعت في حال غيبته في قصايد في اغراض مختلفة فاتفق
ورود كتابه الي والذي يطلب منه ما تجدد عندي من المسودات
فنشرت اليه الورقة التي اشار اليها فاما الناشية المرفوعة التي
نهى عن تحليلها فهي مرثيه في امراة ولها قصة طويلة ما يليق شرحها وهي

بكيتك بالعين التي انت اختها وتمت الضحا تبكيك اذ انت بنتها
وتضحك عن لالا الفلاة لانني بعينيك لما ان نظرت فضحتها
اعادتني بالبين اني فديتها وشاقتني بالبين اني سبقتها

واما الناشية فهي

الا فاعجبوا من هجرها لحبيبها ولا تعجبوا من لمتي ومشيبها
اذا هجرتني شيبتني بهجرها وان واصلتني شيبتني بطيبها

واما الناشية الخمرية فهي

الكاس لم تذنب فكيف حبستها او حثتها من طول ما انشتها
لا بل يهمك بشربها ورايتها القت عليك شعاعها فلبستها

واما الخمرية الاولى التي اشار اليها وهي

عمموا باطنا وادم طيب يسبح في حشا الزمان جنين

قبل ان تخلق الكروم وتلتف عليها الاوراق والزرجون
وثريا السما ما هي عنقود ولا اية الدجا عرجون وهي
طويلة فمن مختارها

تبصر الهم في الاماصي فتنفيه ولا عنه في الحباب عيون
اذن تعتري على المدام شراه وشمالي والكاس فيها يمين
انما الدن بيتها فلهذا اضحكت اوراه وهو طعين
كل يوم اذا اجلوها عليه وهي بكر فانه عنين

فصل من كتاب الى ابي بخطه ابن زكي الدين كان القاضي
السعيد لما وصل الى دمشق عائدا افل جعلت قراه شعر ابن الرومي
واختياره واخترت انا وهو منه حرف الالف وتوجه قبل تمام الاختيار
ووعد بانه يكمله فلم لا انجز ميعاده ولم لا اجعل مرادي مراده وكان
يبتز من ذلك الشعر محاسنه المعمورة ويلفظ ابياته الخراب ويبقي
ابياته المعمورة وكان ابن الرومي يشكره في الجد ويستعير الشمة
الاحياء في حمده فاجبته معتذرا عن الاختيار بما نسخته

فاما ما اخرجه المولى في شعر ابن الرومي فالمملوك من اهل الحسارة ولا
من الغواصين الذين يستخرجون الدر من بحار لان بحاره زخاره واسوده
باد ذائده ومعدن تبره مردوم بالحجاره وعلى كل عقيلة منه الف نقاب
الف ستاره يطمع ويوئس ويوحش ويونس ويبين ويظلم ويصبح
ويعتم سدانه وبعد وبذل واحرم وقبله بجانبها الشمس وحرم بجوارها
نجبه وورده فلا حف لها الشوك وبراعه قد غطى عليها الحوك
لا يصل الاحسار الى الرطبه حتى تجترح بالشل ولا يعول عاشقه هذا
المليح قد اقبل حتى يقول قد ولى فالمملوك من جهابذته وكيف وقد نقلت
فيه الوزير ولا من صيارفته ونقاده ولو لحقنا جريرا لاعياه تمييز
الجنس من الوشي والوهم من الحرير والمملوك بمشيئة الله تعالى يكمل بقية
قراءته وفيه ولكن بين يدي من قرا بين يديه حرف الالف ويشاهد من مولاه
معجز الاختيار الذي يجعل الشعر المختلف فيه من الشعر المؤتلف
فصل من كتاب الى ابي بخط يده وورد من القاضي السعيد
كتاب فوجدته طوفانا لا يغرق وما قرات سطرا منه الا ورات ويا سما اقلعي

ويا ارض ابلعي فالتقى الما على امر قد قدر
والما ان جاوز الطوفان مهلكة والعدل ان جاوز المشروع عدوان
لا سيما ونحن في هذا العصر المبارك نرى السما قد صحبت بالسحب وارسلت
دايم الديم وجاءنا ما لا يحصى من امواج اليم وتركت البلد منه ما لم يبرح
الى ان تزحلت السقوف عن حيطانها وجرى منه ما اجرى السيول وقد
احتملت غثاء من جدرانها وبلغت العماير التي بظاهر دمشق فادت
السيول اتت بيوتها من ابوابها فلانت سياجاتها ودفاعها الى ان خرج
طغيتها من اعاليها واحاطت عن الارض فرعى وعن المنازل صرعى وانقعر
فيها خلق واخذهما الله بحق وما كان الله تعالى ليغسل جنابة تلك الدور
الا بامواج تلك البحور واعود الى وصف الكتاب السعيدي فتعللت به
ايام الربيع في فصل الشتا واستعذبت به في ايام المشيب ايام الصبا
وانسني وكاني رايت شخصه واستخطئني على كل بليغ فكاني بزيادته عرفت
نقصه وما انا في حالة استوحش فيها لغيبته ولا هو ايضا عندي
مستوطن بل انما احله الفضل فهو منه في دار غربة ولكنه انسا
اذا ذكرناه الحقنا الغم عن خواطرنا واستهللت الجهة من مواطرنا

فاما ما ذكره القاضي المذكور عن الولد فانا اعرف الامر القاضي السعيد وتسهيل
ترشيحه وتعجيل ترجيحه وقد سلمته الى البحر تبشرا واريد ان اسلمه الى
جوهرا فيكون اجتهاده في امره على هذه المقدمة ويباشره بتلك الهمة الماضية
المصممة قلت كان نعمة الله قد بشر في نجابة المولى الاشرف ابقاه
الله ورشح لي ان الازمه واذاكره واوضح له الطريق الى ايسر كما من المكاتبات
وامثل له الامثلة التي يقتفيها في المراسلات فامتثلت امره ولازمت
خدمته فوجدته مهذبا من غير تهذيب مؤدبا من غير تاديب متوقد
الخاطر الخطرات الذي كاد زيته يضي ولو لم تمسسه نار فكتبت الشيء
امنته به وبما وهبه الله تعالى منه وبانه الكامل الراجح والخلف الصالح
والحكيم الذي اوتي الحكم والحكمة في سن الصبا واللبيب الذي يستحق ان يدعى
وهو طفل ابا فاجاب عن هذا الفصل بهذا الجواب فصل من جواب
الى بخط ابن الحصين وصل الموشح الذي مدح القاضي السعيد فالبشرى
منه عقد الموشح وجعلني به الرابح لا المربح وما الكتني بان احمل العرب
الى اهل البربر ولا ان شاركهم الى ان حمل نصيبهم الاصغر ونصيبه
الاكبر فنح فنح للبيت الذي شيدت به دعايمه وقامت به الى يوم القيمة

قوامه فوالله لقد ابقى لكم يا اسلافه ذكرا في الغابرين ولسان صدق في الآخرين
ومن علاه فاموت وسيبقى باقواله هيبة اذا خربت البيوت وكل بيت لا
بلا مثله فهو اوهن من بيت العنكبوت قلت هذا الموشح الذي اشار
اليه موشح عملته على وزن موشح عباده الذي مدح به المعتصم بن صمادح واوله
يا لائمي قصرا وزدت في عمله فغربتين وموشح عباده اقرع ومطلعه هذا
الموشح الذي عملته وهو

دانت لي الدنيا والامل الوصلا من هوى المحيا وصار لي خلان
لا استمع النهيا فيه ولا العذلا ما اعطر الهبا له وما احلى
تلك الحلى من النقش او اللبس لقد كل بدر طرق مثل الفلق تحت الغسق
حتى يسترق الباب اهل الصواب
ما صال حتى صاد بطرفه الوسنان وصير الاساد فرايس الغزلان
واخلف الميعاد واخجل السلوان جبينه الوقاد اذ شيبت والفنان
فيه قلبي تحت الغلس وقد جرى ورد الخجل مثل رشق حر التق قلبي فشرق
فالحدق تشاب بها تصاب
هذا هو الباطل حقا بلا شك وانما القائل صدقا بلا افك
من يمدح الفاضل بالبدر في الفلك الواصل الصابر والفارس المالك

لماجلس وقد ارتأس فكم غرس من الدول وكم رتق ما انفتق وما لحق
ولما خلق وهاب بلا حساب
قد جرت الاقدار بحسن اثاره وسارت الاخبار بحسن اثاره
ثم ملك جبار يسعى الى داره وراح لما حاز لي عظم مقداره
اذا عبس فقد حبس كل نفس من الوجل وان نطق فالسحر حق وان رزق
فاحش عزق بسحاب ذيل السحاب
واهيف المى لا حبه المحراب بما مت بباتها والهوى انشاب
وهو بها مغرى وهكذا الاحباب قالت له لما غلقت الابواب
بالله دع ذا الهوس وذا الكسل وقم ودق وارك وتبق وادع وشق
ومن يدق الباب ما له جواب

ولكنت على هذا الموشح اليه كما جاء في ذكر الموشح منه وقد عطف المملوك خدمته
على موشح كما وصل من دمياط خاطره وهو جهد المقل واقدام المملوك العبد ولو
لم يبتدي المملوك الى مولانا لشار اليه على افواه الانام وترنمت به السنة
الايام لان كل موشح عمله المملوك في المولى قد طار وطبق الاقطار وسرى
وسار وصار يتلى ذر المنار وادبرت عليه الاكواب وخرقت عليه
الاثواب وشدا به الرجال والنسوان وصار تحفة الجليس وتحية
الندمان وشار به من لا يسير مشمرا وغنى به من لا يغني منفردا

وكم من عروس عنّ به فالتهى به العروس عن عرسه وعن عرشه وكم من مجلس شدي
به فنه فالتهى النديم عن كاسه وعن انسه وكم من صوت سمعه فخرج به من طينته
ومن جنسه وكم من محسن غناه فرأى بالنقوط عليه غلبة سعوده من عشوده
وما شارك والله بهذه الموشحات لحسنها لكن لاحسان من توشحت باسمه
وتشوفت وما عبق نشرها لطيبها لكن لذكر من تمسكت بذكره وتعطرت
وما عظم الناس قايلها الا لعظم من قالها فيه وما زانت الاسماع قوافيه
الا لان يمدح مولانا في قوافيه
واذا الفتى المدوح انجح شعبه في بغيته وبداه انجح شاعره **فصل**
من كتاب سالي بخط يده واما الكتاب السعيدي فوقفت منه على طرف الطرف
وطرفة الطرف وكدت اعده منه على حرف وكل حرف فذلك الحرف ولا
اطيل بان اقول وصلني منه الكتاب العريض الطويل الجل الجليل صرف الله عنه
العين وكفاه اينما كان الاين وطوى بيني وبينه شقة البين وهذا الكتاب
لا اصفه الا باني لا اصفه ولا اقابل اظهار قدرته الا باظهار تحيري عنه
قلت هذا الجواب لو لم كتبت اليه اشرح فيه زيادة عطية بما بلغه الله لكن
اعلمني فيه ما من العين سره من الله بالسلامة والكتاب عريض طويل لا يحسن
ايراده بجملته لئلا يضيع فيه الوقت ولا يطول الخطاب والاختصار له لان بعضه

وتصبح مشحونة في يد من هو بها مشغول وما تدري نفس ماذا تكسب غدا
وما تدري نفس باي ارض تموت

روحي شكت جسمي وجسمي شكى روحي كلا الشخصين يرجو السراح
لو فارقته لاستراحت بلا شك ولو فارقها لاستراح

واما قلبه فلا يعلم له خبرا ولا يرى له اثرا بل خرج من صدره ومر وفر
وقتل حبل الصدود وامر وثبت على عهد الهجران واستمر واختار الا حيار
ادفر من جناب المولى في المستقر

فليسوا ذلك الرماد تصبوا فيه قلبي ان لم تصيبوا الجمرا

والمولى يخبره اخبر لانه يقبل جنابه وعتبة بابه وان كان لا يرى ولا يدري
الا به مثل صاع العزيز في رحل القوم ولا يعلمون ما في الرحال واما
جسمه فوالله الذي يعلم السر والنجوى ويكشف الضر والبلوى لقد
انفقت عليه من الامراض المختلفة ما جعلته خلقا باليا وصيرته من العافية
طللا عافيا ولقد اصبح من صحته كما قال الاول في خلته

واصبحت من ليلى الغداة كناظر مع الصبح في اعقاب نجم مغرب

فذكى الله عهدها وسقاه والقى اليه الخبر ولقاه وجمع بين جسم المولى
وبين الصحة فانها الخليلة الخليلة والجملة الجميلة والحسنة التي فراقها

اعقاب الشباب والغنى الذي يعبر عنه بالحياة ويعبر عن فقده بالوفاة واسلم
ذميمة فان شيطانه قد تاب وقبل العتاب واطبق الكتاب واغلق الباب
وخر راكعا واناب وكانت قبل ذلك تنزو ابه نزوات البطنة وتبعثه على
الخوض في غمار الهذيان انغماد الفطنة وتدعوه الى جنون القول اوامر الشبيبة
التي هي شعبة من الجنة فلما علا الشيب راسه وقطع امراسه
وضيق انفاسه امتثل امر النهى وارتدع عن الباطل وانتهى عما كان فيه النهى واخر
ما عمل ابيات تدل على وعد ووعيد وتشهد بما قد نواه وتخبر عن عصيانه لهواه
وقد كتبتها ليقف مولانا عليها وهي

قد كان ما كان من جهلي وطغياني وجاء ما جاء من نسكي وايماني
وسر من غم النفس في ملكي واغتم بعد سرور النفس شيطاني بعد
فما المعنى بعد النسك من اربي ولا المتع بعد الزهد من شاني
نسيت الغانيات لا لين يذكرني بذكر زينب كلثوم لعين بناني
وخفت عصيان من اولى سنا املي واخترت طاعة من اولى سنا انشاني
وعفت دنيا تسمى من دناءتها دنيا والاخر مكروهها الداني
ضحكت فيها واني قد بكيت بها والجهل اضحكني والعقل ابكاني
هذا وقد نلت ما لا ناله احد في الدهر من نيل اوطار باوطاني

نجيب العز لا تعلو يد ابدا قهرا ويعلو على السلطان سلطاني
من العزيزين من جاه ومن كرم الى الرفيعين من قدر ومن شان
اكسى واخلع اثواب النعيم فكم جررت للتيه اذيالي واردان
منعم من جنات معجلة وشتم ما شيت من حور وولدان
وكم سبتني بلا جذب وكم فتنت انسان عيني فيها عين انسان
فطالما اصبحت شمس النهار به ضجيعة لي وبدر التم ندماني
اعيا واتعب من ضيم ومن قبل واستريح الى راح وريحان
ثم انتهيت ولم ينهني انسى من الزمان لكان الشيب نهاني
قد شيب الشيب اوطار الفؤاد كما اخرج ديد لباناتي الجديدان
لا ترغبي يا ابنة العشرين في صلتي ان الثلاثين هدت ثلث اركاني
فيا لكثرة اشجاني واحزاني ويا لقلة انصاري واعواني
سلني عن الدهر لا تسال بشواهده ولا تسلني عن همي واحزاني
وان بكيت فلي عذر مجاوزتي واحذروا ايا لي من طوفان اجفاني
اما دموعي وخوفي من مراقبتي فمن ذنوبي وطغياني وعصياني
ثم دموع وخوف وافتقار يدي لدى خصوم وما بعد ان خصماني
اليك عني يا دنيا اليك فلي في وصل مثلك شان المبغض الشاني

في وحشة القبر والدود المقيم به شغل ليغنيني عن داري وبستاني
اختار دارًا وجيرانًا مغالطة والقبر داري والاموات جيراني
فما وسع القبر بالاعمال اصلحها جهدي والقبر زهدني قبل اكفاني
وقد اجبت ندا الله حين دعي وقلت لبيك عن شوق وايماني
وان رشدت وعزلي عن غوايته باق فاي مصير بين عصياني
وان خرجت من الدنيا ولذتها طوعًا فيا ربح نجحي بعد خسراني
وكيف اسى على الدنيا وبهجتها وقد تعوضت بالباقي عن الفاني

فصل من كتاب لي الى وصلت القصيدة الشعيبية التي لا عيب لها الا ان جميع فرائدها وشرايط وان معانيها بين العقول وشكلها وسايط وقد علم الله انها حي اذا انشا الزمان مثله وتصور الغاية التي تخرج اليها فضله وتهادى كتاب الشام وشعراء الوقت هذه القصيدة العينية وامتدت اليها الاعين واثنت عليها الالسن واستغربوا الحسن قبل ان ذكرت الشيخ فلما ذكرته فمنهم من عرف في القول فاستبدع ومنهم من لم يعرف النصة مسندة اليه فاستبعد والله يعزه العقول ويرزقه الزمان المامون قلت هذا جواب عن قصيدة عينية كتبها اليه بعد

مسيره الى دمشق في سنة الاول سنة سبعين وخمسمائة واولها

فراق قضى للقلب والهم بالجمع وهجر تولى مني من دمعي
ووصل شعي في قطعة من احبة ولا عجبًا قد يهلك النجم بالقطع
وفي الحي من صيرتها نصب خاطري فما ادنت في نازل الشوق بالرفع
حبيبة تفرع منه اصل بليتي ولم ار اصلا قط فرع يعزى الى فرع
وتبسم عما يكشف الدر عنده فكيف ترى من بعده حالة الطلع
وكم تركت في ذلك الحي ميتًا وكم حملت منها الضلوع على ضلع
وكم ذاب من حر النعائي بعثنا فلا يدنا حتى افترقنا من اللذع
اذا شيب غنائي عن الهعازل فنشيط الثني المن والمنع
تغني بخمر المدامة تجلة لغصنيها عن سلبها العقل بالخدع
فاصرف كاسي حين يكشف بالها واشرب منه كاسة تبقيم السمع من

هذه القصيدة في مدحه

تاي عدنا من كل طرف شهادة وشاد نعالي كل قلب على فجع
اذا نظرت عين سواه لمحت حيًا بعنوان الوفا من الدمع بدره

عندي من الشعر النار الان عملها في صدر العمر وفي قتا الشيخ فهذا

وصفها تعجبا للصدور زهاها من هذا انشئه لا كمن هذا اشعره ومن كتاب
الى القاضي الاشرف ولده تعرفه نشيطك القاضي السعيد وصول كتابه
الذي سطره عجلا وكتبه في الدهليز مرتحلا واستوحش فيه لانقطاع
كتابي لما انقطع وانس باتصال خبري لما وصل وما اعد اللفظة منه الا نجما
في ظلام ليالي الهموم الطوال ولا الكتاب الا جنة عدن به اتى بها نطقت الامال
النهال وما هي الا معجزات بها تتحدى وامثلة بها تتهدى واياتك كل واحدة
اكبر من اختها وفكرة مرهونة في ايام الجمعة كلها اذا انت الفكر
شبهها وهي نعم بان تجد بهذه المحاسن الشائعة الشائحة الجديدة وان
كانت سلاحا ان يداوى بها الجراح قلت هذا الجواب عن كتاب كتبته له
في ذات ارتحال وما عندي ما اذكره الان من هذا الكتاب ومن كتاب
اخر وتلك القصيدة العينية التي لهج اهل الشام بمنشدها وندعيها وسارت
ولم تقتصر من البلاد على حدودها وبالله اقسم اني ابتهج بما تعده المحافل في هذه
النادرة بل انها قد انجزت ما وعدت به في البادرة ٥
ان الهلال اذا رايت نموه ايقنت ان سيكون بدرا كاملا قلت بيت
القصيدة العينية قد تقدم نصها بما لا حاجة لاعادته ٥

فصل اخر وكتاب القاضي السعيد وصلت طيه المقاطيع التي ما
سميت بهذا الاسم الا لانقطاع الخواطر عن مجاراتها والابيات التي هي
احسن ما استعمرت عليه ابيات تسلى وجاراتها وقريب الى ان جعلت واو ت
الى ان اثرت وعوذت ذلك الخاطر الخطار المستولي على امر الخطار وا تشدت
فتحو اليالي قد تقادم عهده ورفعته ماشا في العين واليد قلت
هذه المقاطيع التي اشار اليها عملتها تجربة للخاطر وتحريا لمن يسمى الشاعر
تغزلت بها في عمياء وبلغته من عزمي فطلبها مني فنفذتها اليه الى الشام فمنها

شمس بعين الليل لم تحجب وفي سوى العينين لم تكسف
مغل المرهف لكنها تقتل بالعذب لا من هيف
رايت منها الخلد في جوده وناظري يعقوب في يوسف   ومنها في العمى
فتنتني مكفوفة ناظراها كتلال من الجراح اماثا
فهي لم تنا العقود حيثما لا ولم يحمل الفتور سنانا
وهي بكر العيون محصنة الاجفان ما افتض مثلها الاجفانا
قصرت عيشها على فلم تعشق فلانا اذ لم تعاين فلانا
لا ولم تبصر الرجال فتختار على ملتحيهم المردانا

عجبت من هواي وارتحل الانسان عنها واخلى المكانا
علمت عزتي عليها فخافت ان تسمى غيري لها انسانا   ومنها ايضا في المعنى

ان الكمال اصاب في محبوبتي لما اصاب بعينه عينيها
نادت جلاوتها فصرت تخالها وسنى وقد اسرى الكرى جفنيها
وكما علمت وللاديب جلاوة فكانني ابدا ادب عليها
ولين عدمت السكر من الحاظها فلقد وجدت السكر من شفتيها

فصل من كتاب اليه بخط يده وصل كتاب القاضي السعيد ووقعت منه على كل حسن لا عيب فيه الا انه لا يبلغه واصف بل لا يعرف مثله عارف بل لا يقضي حقه من هو على الذ الاهواء عاكف وما انصرف ناظري من حسن الا الى مثله وما توهمت ان في دهرنا من يبلغ الى غاية فضله قلت هذا جواب عن كتاب كتبته اليه في اول خدمتي له وما وجدت نسخته عندي فاذكر منه ما يليق بهذا التعليق

فصل من كتاب اخر اليه والقاضي السعيد حاله في هذا الوقت بعد فقد العقيدة حالة انا انطلع اليها والى تذكرها وحضور فهمه في هذا الوقت يحتاج الى العزم المذكر من الذكور لا من الذكي والى ان يشد الرحال الحازم الصبر فقد دفعنا الى زمان خرج من الدار للرجال الغير وكيف من هجر

الشفيق عليه السوال له في السفر والله تعالى يروح اسراره ويطفي بالرضى والتسليم ناره ولا يوحشه ممن يحب عينه واثاره قلت كانت قد توفيت له كريمه وبلغه خبر وفاتها فكتب هذا الفصل معزيا ومسليا وكتبت اليه جوابه وهو موجود فيما دونته من كتبي اليه

فصل من كتاب اليه وازعجني امر السقطة التي جرت للقاضي السعيد فيه سقطة رجل سقط لها في بلدي وان كان قاطع المنجم انه قطع فما كان الا في مولدي وارجوا ان شا الله ان يكون الان قد دخل في الحرج برفع العرج وان يعيذه الله من الخروج من الحرج وتوقع الفرج قلت كنت قد سقطت من على ظهر الدابة بطريق مصر وثبت رجل فكتبت اليه بما نسخته يهني انه سقط من على الدابة سقطة كاد يسقط منها بالوفاة ويقطع بها ما بينه وبين الحياة الا ان الله تعالى فدى روحه برجله وما اخلاه في كل حالة من لطفه وما اعراه من فضله وهو الى الان الالم فلم يخف والورم فلم يجف وانصباب المواد فلم يكف ولم يبق الا ان الاعصاب قد ضعفت وعظام القدم الى الان ما التامت وجراحها الباطنة ما انجبرت وكان فصل الشتا يمنع من فصل

النفيسة ويستطيل به عمر المنية التي تشبثت بها المشيئة ن
ولنثبت اليه ايضا من كتاب اخر في هذا المعنى وهي انه يستطرد منه
بعد انتعاشه وقيامه من فراشه ومشيه على رجله التي كانت ذات وكانت
عظامها قد اختلت ومشى عليها ولكن على جانب وتخطا ولكن بالخطو
المتقارب ومشي الغرازين على اذيال العقارب فلا يستطيع ان يضع
على الارض قدمه كلها بل يطاها بعقبها تارة وباصابعها اخرى و
وهي اليمنى ولا مفتقرة الى معاونة اليسرى وبيده عصا يتوكا عليها
ويهش بها على من يقرب منه اليها لئلا يصدمها فينتقض مرضوضها الذي
التام وينتشي مرضوصها الذي انتظم وما حمل العصا الا وقد احوجه
اليها الهرم قبل العجز وما الهرم الا الهم الذي استولى منه ثلث حجج
وهي التي فارق فيها مولانا فانها ايتمته واهرمته وهممته وا
وتشعبت وجهزت الاذى له وقصدت مصون حالة بالاذالة ٥
ومن كتاب اخر الى والدي فاما كتاب القاضي السعيد فقد
جاءني وقت خاطري فيه كليل وهمي فيه دقيق جليل ولكن اثر فيه كالاقداح
بالزند وكاد به الخاطر ان يستريح مما هو فيه من الكد وكلما وقفت على

كتاب اقول ما بعده جاء الذي بعده فوق الذي قبله ووقفت على
موشح الجلنار وهو احسن من الموشح الجلناري الذي كان يستعيده اعياد
الخلفاء واجدر منها بالنفاسة في العيبة والزيادة في البقاء ومثله
ينبغي ايضا بهذه الملح فاذا انشا لنا في ابداع معانيها وجلا اقفالها
فلا تمنع وانما يخاف التبدل بالبدل وبهذه والله مجانس لا يخاف عليها الملال
ولا يتطرق اليها الابتذال ولا يختلط درها بعبر ولا يوقع على مفصلها
بجز قلت هذا الموشح الذي اشار اليه موشح عملته على وزن
قمر نزل عجلة ووردت اقفاله تقترن على اقفال ذلك الموشح ونقلته اليه
فكتب عنه الفصل والموشح المذكور

صرف كاس جلنار وهو بالمزج بهار فادرها واسقنيها
من هوى من رتق فيها من شراب الكاس احلى ولهذا صار اعلى
بينا بالاقداح فضحت نشر المدامة وقناع كالصباح غلبت الف غمامة
فتنحوا للواحي واسالوا الله السلامة فلها على الملاح بجمالها الامامة
ربعها دار الامانة تعرفها عند الوفاة فلذا تصد بينكا
حيز لا يرى سكا اي حسن ما احلاها ونوال ما اقلا
يا فنون العذال زول يا صنوف اللوم كفي انها غاية سول انها غاية حتف
حسنها اذكى غليل حسنها اقحم وصفي اي حال يشتكي لصعقها بالغ

تستمتع حسن

فابحثوا لي عن عبارة مستراة لامعات فبغيتي استرسلها
ان تعبتي تشتهيها فعنتي بالوصل عجلا فيعود القول فصلا
مدة الهجر تناهت فابتدي بالله صلحا ووجوه لك شامت لوشاة قبلك لجا
وعذول فيك باهت وبطل العذل صلحا اوما الشمس تناهت بسناها حين اضحى
منك في البدر اشارات فخذوا منه البشارة واعلموا العاذل منها
انه عاد شقيها لا راينا منك وصلا ان تجنبنا فيك عذلا
ان ضننت بوصالك فاعزمي قتل المحب انا ادري بنبالك فادني من محب
انا اشكو من ملالك انه افرح قلبي واشتكاى من خيالك انه اقلق جنبي
فامنعي الطيف الزيارة فهو والرب حسانة زورة لا ارتضيها
فكذا لا ارتضيها اى طيف زار لا هيج الشوق بولى
كم تريدين هلاكي كم تروميني فنائي قد قضى الله وكفاكي من عدائي وعنائي
واستراحا من هواكي وجلستا الهنا وحديث لسواك فاسمعيه في غنائي
سكنت بجنب جارة بمرتبت من اهل جارة خلقت منهم بديعها
وتقول ان حواليها وانتم تريدوا مني مولا ان جارتي او لا

فصل اخر والقاضي السعيد انا منتظر منه الكراريس الكثيرة العدد الدقيقة الخط الخفيفة الورق الراجحة الوزن المقاربة الاسطر المزدحمة الرصف التي لم تزاحم الناسخ في كتابات بيوتها

ولم تقل الاجر التي سعد في طرزها ولا تكمل مزيد الكراريس من حجم المجلد الواحد فانها ان زادت قسمته مجلدين ياتي من اذا اكال على الناس استوفى ولعل لا اثم وبهذا التطفيف ومن الطمع تعلمه ان يشبع ومن اعطى فعليه ان يقنع قلت هذه الكراريس التي اشار اليها مجموع امرني بجمعه وتسييره اليه وكتبت كتابا عليه جا في ذكر هذه الكراريس ما هذه نسخته وقد جمعه المملوك فمما اتى فيه بغريب واجتهد وكل مجتهد الا هو مصيب وقد اتى هذا المجموع الباطل من بين يديه ومن خلفه وقد جمع الغثا والغث والخلق والرث وا الاسود والمداد الابيض والخط المرتعش والسطر المضطرب وكل ما عن للمملوك في ذهنه ويده وابكاه في يومه وامسه من غده فالمملوك يقول عنه ما قاله البديع الاسطرلابي وقد طلب منه السلطان السلجوقي مجموعا وكتب معه

بجمعه

ارسلت مجموعا وبما قد اتى يحكي تفاصيل مجموعي
تريك مطبوعا ولكنه الف ما ليس بمطبوع
لكن عذري فيه تلعيبه وتهلك استنباط المجاميع

فصل من كتاب الى مخطاب زكي الدين ووصيتي للقاضي الاعز ابي الحسن في المأكل ان لا يغلط ووصيتي لوالده القاضي في الاوكار ان لا يفرط فقد بينا في ما ذكره جهة الوسيلة من افراط ولحراق جسمه وهو دعا الا تعش روح عندنا واعز نفس علينا فواجب ان يعني باصلاح المسكون كرامة للساكن وان يعنى

هذا الظاهر ليسلم ذلك كرامة للباطن سلمه الله وصححه وقوم مزاجه واصلحه قلت
هذا الفصل جواب عن كتاب كتبه اليه ابي ذكر له فيه حديث المرض الذي اصابني وتطاولت
مدته ومن كتاب اخر الى القاضي الاشرف ولده بخط يده وانا
الى الآن منقسم الفكر بسبب تأخر القاضي السعيد ومتطلع الى وصوله وسرعة
قفوله وما انصف فانه زار قليلا وخلف الهم طويلا والله اني مشغول السر
بتأخيره في الطريق ومستبعد له من اسباب التعويق قلت هذا
فصل كتبه الى ولده قبل عوده بوصوله للامصر بعد فراقه له من دمشق في السفرة
الاولى التي تقدم ذكرها فصل من كتاب الى ابي بخط ابن زكي الدين
واشارت الحضرة الرشيدة الى ان كتب القاضي السعيد سيرها الى ولكنها ما
وصلت الي ولا شك ان الايام قطعت عليها الطريق لانها في هذا الوقت مراده
بقطع مسافاتي ووصل ميتاتي بلا حول ولا حيلة ولابد ان يعيدها من قوتها ويحييها
من حوتها وينبغ من قلبه روحه في اخرى من غدرها وكيف ما كتب القاضي السعيد
محتفلا او مسترسلا ومفصلا او مجملا فالعاطفة تعلق في القلوب المحبة فاما الجد
فانا يوكل خواطره بالعباد للعاد قلت هذه الكتب كنت سيرتها اليه
وخان فيها الحامل ولم يصل اليه منها واصل وقد شذت البضائع وضاعت مني
فصل اخر من كتاب الى ابي بخط يده والقاضي السعيد مشغول

في متجددات خواطره ودقائق فما يخلو من ان يقول او من ان يختار فيكون بالاختيار
كالقائل فاما في القول فانه منقطع القرين وآخذ الراية فيه باليمين واوقات
العزمات تستعان عليها بما يتعلق به فيقطع على ليل الهم طريقه بياض قراطيسه
التي انا اليها اشوق من الى الصباح فيه قلت لما ورد هذا الفصل
سيرت اليه مقاطيع كنت عملتها في ذلك الوقت منها

تجني لواحظه وتعتدي او ما رأيت تمرد المتمرد
ظلم فظل بدمي شهدت له ان المحاجر منه للشهد
باي مليح قد كلفت به يبعث الهوى وزهدت في الزهد
شاكي سلاح الحسن منفرد وكأنه يلقاك في جند
الورد وجنته وقد شرفت عن ان تحوز جناية الورد
والعقد مبسمه ولست ترى في الثلاث منه زمرد العقد
اصف الحبيب ولست ابرح وكذاك توصف جنة الخلد
ضايقني بادمعي في قربه فاخلفه وتركتني وجدي
عمدي وعاتبني وقلت له لا كان هذا اخر العهد
ومدامعي تجري على اسفه ودموعه تجري على خدي
من حرجت عليه من خلدي ولئن تحجب حرجته من جلدي
ولقد وقفت على منازله اراسيه عارضه على الخد

ولقد ابيت له على ثقة ولقد رجعت بجلد المسترد
اخى التورق اهلها فغدت تبدى الغرام بهم كما ابدى
سترتم وشار القلب يشعلم ليرى جنايتكم على بعد
وطرد دموع ولم يجد جلدا لا القلب عندكم ولا عندى
يا جاحدى شغفى به او ما سمعت شهادة السهد
تذرى غرامى سر تذكره وتريد تخرجه بلا جحد
شاع الغرام وشاب من كلف راسى وابيض فى الهوى بردى
وكانما كلفى بعصو لها ولقد تعرض لى من المسعد

ومنها ايضا

مبدا غرامى قبل عن خطا وبجاح قلبى فيك عن عمد
فوادى بسهم المقلتين رماه وقلبى بنار الوجنتين كواه
فقال الحشا املا به حين رانه وقال الهوى لبيك حين دعاه
فبلغت تبى من غرامى مرادها واتعبت قلبى من هواه هداه
وعز على طلب العذول الحاجر وعز على قلبى الجموع عماه
يقول عذولى فى هواه تعلة فقلت وهل فى العالمين سواه
بنفسى حبيب اخجل المسك مسكه وان سالوا عنه فسهر لماه
حبيب نوال حسنه ليت عذل عليه وعذال المحب عداه

اذا غاب الهاى الجبل لا ابى ارى فى خل الغانيات جلاه
بهيم بسه بدر التمام محبة وغير عجيب ان يحب اخاه
تزيد تقبيل له نار لوعتى فما شرنى الا اقبل فاه
وارضيته جهدى وانجنى بصده وكم متجن لا يطيق رضاه
اما تستحى يا جاحد الصب سقمه تقول له تهذا وانت تراه
فحاجز سقم الجسم منه كما ترى وغايب وجد القلب منه كما هو
زرع حمرة فى عارضيه بطرفه وبا اللثم حيا ورده وسقاه
كفرت الهوى ان كنت خنتك ساعة فان الهوى للعاشقين الاه وحاكيت
اليه ايضا فرطت قبل تسويد يرى تجرى القضا بعلمى معذورى
وحلت صفوى قبل عن خطا حتى منيت لكل تكدير
وسمحت قبل ثرى لعز كرما من يشترى كثرى بتقتيرى
وحذرت بمنك الشتر قبل قعدا وقعتنى فى كل محذور
وكسلت عنك فبالكسل انشطت به ابدى المقادير
ما لى وللاعذار اطلبها قد كان وصلك تحت مقدورى
بيدى فيا ندمى خرجت بدى واذا بكيت فغير معذور
يا من نغشى وجهه حتى يهتك كل مستور
القلب بعدك غير مستعد والربع بعدك غير معمور

والشمس في عيني قد طلعت من بعد بعدك خلعة السور
والعيش بعدك مظلم حرج لكنما هو قلب مهجور
فتبوا واسوء ربهم على اثر ان الستر وراحل مقبور
وتفرق الاخوان واجتمعوا الكبس على بلد وتكسير
وشكرت طيفك حين يطرقني فعلمت اني اي مغرور
ضيعت مالي منهجا ورجعت اقنع بالمنى بالزور ومنها ايضا
فرطت فيك ولو عن لا تنتهي وذهلت عنك بحسرة لا تنقضي
وصدرت عنك تحببا وتكرما فانا المحب فعلت فعل المبغض
الذنب مني لو وفيتك لم تخن ولو ان قلبي مقبل لم يعرض
اما عن هواك فقد دريت كيف المجي وما دريت كيف المنقضي
ومن انقضى سيف الفراق اصابه وانا وحقك كنت ذاك المنقضي
اي قلت عليه نفسي حسرة ولقد رضيت فليت شعري هل رضي
من يوم ان فارقت طرفك اسودا لم يكحل طرفي بيوم ابيض
ولكم يقال تركته فقد نسيته فاقول قول العاجزين كذا قضي

فصل من كتاب البلاغة بخط ابن زكي الدين ولي من الحضرة الوسطية وعلى
لا تخلو ومن المحاسن التبعية لها مغني عشاق ذلك الكلام ولا سيما فانه
علم الكلام فتلك المحاسن اي مركب ركبت فانه النهاض عن المنهاض واي روضة

ذايبا غرب من مطلعها ولا ادل منه على سلطان طبع فسهو
الا في تشبيه من افقها طلع الفجر وحاشاك من وجهها ضحك الثغر
هو الثغر الا انه الصبح طالعا على انه الكافور لكنه السدر
اذا ابتسمت لم يبح للشمس ابه وتغتاظ منها الشمس اذ يبتهج البدر
وما رضيت سود الليالي اصغايرا عليها ولا ان الهلال لها ظفر
ومحسودة الاعطاف مغبوطة الى وحاسدة ذي مثل وغابط ذا جرا
وتناجز صانت شملانه وجهها بكاتب به كسر وبهذا هو الشجر صلاة
بهذا هو البيت الذي قال فيه ولا من بيت الكائن المسؤول ولا دل منه على سلاله فسع
يعالج لعيها الخضاب صبابة فلا راعه ما راعني وهو الهجر
وقد وطنته حين اصبح عاشقا كان عليها وطي عاشقها نذرا
فلا تنكروا منها الخضاب فانما هي الغصن في اطرافه الورق الخضر
بذا هو البيت الذي قال فيه ولا من ورق البيت الخضر ولا دل منه على اقد طبع ونبلامع
وكم سايل قد قال هل هي روضة فقلت وعقد الدر في جيدها النهر
عجبت لسعي الدهر بيني وبينها فلما انقضى ما كان لم يبق الدهر
منها المصير انها جلها الندى وبشرا لمصر انها جاءها الحبر

[illegible]

منها في صورة مستريح لي طريقه

وجاء طريقًا يرهب النسر وطيها على انه نسر الكواكب لا النسر

ويطلع منها الصبح والليل بعده وفي قلب ذا خوف وفي صدر ذا ذعر

فهاب الرياح الهوج مس ترابها فما

وجاءوا الكثر في النثر بدا غم وما زال من ايمانه يشرع الكفر

يحف به من خلفه وامامه مهندة بيض وخطية سمر

ولا فرق لولا اللون بين سلاحهم فآراؤهم بيض وراياتهم صفر

فحرسه من جنده البيض والقنا ويحرسها منه التلاوة والذكر

جرى الناس في آثاره فتعثروا ومن قبلهم ريح الجنائب والقطر

وان اشبهوه خلقة لا سجية فلا عجبا قد اشبه العسجد الصفر

ايا نعمة من بعد ان نالنا الاذى ويا رحمة من بعد ان مسنا الضر

قدمت ربيعا في ربيع وفصلنا ربيع فجاء النهر والشهر والزهر

وذا السجع يحجو لين في النثر مثله وهذا جانس لين نحسنه الشعر

فصل من جواب للكاتب رحمه الله ووصل الدرج والدراريس

النعيه والكتاب منه والقصيدة المعتز به والتفضل المشكور منه

قد ارسلت به كلها وجلبت السلام إليها أو من ذكرهما سبيلا وما ايعود كل
مفقود اذا اعيا وشيئا اخر وعلى الوالدين سلام لا يزال ينعمهما
موصولا ولا تزال الحجة تفيض عليه نشرا وقبولا اخر ووصل من سلام
الوالدين ما طاب نشره و عطره ونفيس شكره والله تعالى يحسن عني جزا
هذه الذرية المباركة التي اشكرها مجال ولقائل الحسن فيها مقال وما الا الشكر
واجد وما بي شكر بيت يبلغ الله منه باربعة اجيال وما يطلق على هذه المعترفة
صداقة بل نتمى نسبة وعلاقة اخر السعيد وولده مذكوران مني
باطيب الذكر مخصوصان من تحية مشارعة النشر مشتملا عليهما من عند الله ما
يجعل ايامهما سلاما هي حتى ينقضي الابد ولياليهما سلاما هي حتى مطلع الفجر اخر
السعيد وولده اجابهما الله لا يخلو منهما الذكر والكتب السعيدية لا تخلو من
السجع وعليها السلام الاطيب والتحية التي عليها ركب العبير الاشهب اخر
السعيد ابقاه الله واسعده وابعد زمانا اتاه وابعد مخصوص بتحية من الله مباركة
طيبة عذقة صيبة ينيل بشرها وتتابع نشرها اخر والله الخليفة
عليها وعلى والدها وعلى ولدها والمسئول في حراسة حلها في مغيبها ومشهدها ويومها
وغدها وان لا يعطل يدي من لبنها ولا ظماي من موردها اخر الحضرة
ووالدها وولدها ابقاهم الله في دعة من الله وضمان وحياطة وكلاءة وكفاية

واما ان اخبر القاضي الوالد الا استرجع الله منه وديعة الخير والبر
والقاضي الاجل ولدنا الذي فضيلته بيني وبينها مشتركة لا يخرج ذكرهما من
لساني ولا شخصهما من عياني ولا يبعد مكانهما مني وان بعد مكاني وعليهما
السلام المتردد العذب المورد الموصول اليوم بالغد اخبر وعرفت
سلام الحضرة بين الوالد والولد واستطبته وكنت استبطأته فعليها افضل
سلام واوفاه واصفاه وافره واعطره والله الخليفة عليها وعليهما والمسؤول
ان لا يغير ما بكم من نعمة ويديم لكم نعيم العيش ولا يرو علم الدهر بلده اخبر
مكان الولد والوالد جانب العبيد لا من تحت الحسنيلة وما اجعلها كعلم الراكب
ولكن ذكرهما في قلب الشارب وسلامي عليهما يتردد وشوقي اليهما يتجدد
يتجدد وعزائي المجلس السعيد لا يتجدد اخبر والقاضي السعيد
وولده امتع الله بهما ولا اخلاهما من نعمة يرعاها وصل نعيمها عليهما اطيب
تحيات الله وسلامه وذكرهما مسك الكتاب وختامه اخبر
الحضرة والمولتان ولدانا جعلها الله الخلف الباقي ووقاهما بالحفظ الواقي
في ضمان الله وامانه وكنف فضله واحسانه لا غير الله ما بكم من نعمة ولا اروع
الاوداء فيكم بملمة اخبر وكان يجب تقديم السلام على القاضي السعيد

وولده فاخرته لانها تعد مجاورتها حمد الله والصلاة على نبيه فلا يخلو كتابي
من ذكرهما مقترنة ببهجة الولد فاما موعدي باكثر منهما ولا يخلو شغلهما من
ابدائي سلامي اليهما اخبر القاضيان الوالد وولده ابقاهما الله
عليهما مني سلام ان حرمته باللسان مخاطبا فما اقطعه بالقلم مكاتبا وعين
الله عليهما ومعقباته تحفظ من خلفهما ومن بين يديهما اخبر
الحضرة السعيدة وولدها ابقاهما الله سلامي عليهما ورحمة الله وبركاته وشوقي
اليهما لا احد مشاكله وتطلعي الى المجالس السعيدة لا تطرف لحظاته :
اخبر للحضرة وولدانا في كنف الله وستره وكلكم لا يخلو القلب
من ذكره والذكر سلام القلب وختام سلك الكتب لا اطلب ما يحل سرها
الا علمت ما يوجب برها اخبر الحضرة وولدانا ابقاهم الله بعين
الله ملحوظون محفوظون وبابي السلام يحد طوق مجد ومعول ادام الله
بقاءهما الامتاع ونحاهما عن الدهر الامتاع ووصل بها الشمل الجديد
وقرب اليها الامل البعيد اخبر والله الخليفة عليها وعلى والدها
وولدها وعليها سلام متتابع تسرع ويتسنم من ليل الطروس نجوم اخبر
السعيد وولده سلمهما من بلاء الغناء والطيبة والنزه اوا واجبه فعلي

بما قيل في اداية لسانى ويود لو اشتغل محضة من شغله العيال لغير
سطح وقت الظهر من يوم النصف من شهر رمضان عرفها الله بركة لغائب
الافراد والازواج وجعلها فيه اول ناج وله اكرم مناج واغانها على الحبيب
الذي هي من اهله وبارك في اهلها وزادهم من فضله والسعيد وولده نهما الى
بالعيد المقبل فلا عدمنا منه زايرا يبكر وطالعا كل يوم عليها لا يتاخر حتى
تكون ايامها كلها اعيادا ولياليها كلها افرادا وجعلها الله ممن يقوم له ممن
وزادى اخر السعيد بعرفه بسلامي فعلم من البحار افضلها
وارجها وازكاها وبى العدم من الاشواق اصرعها للقلوب وانكاها وعلى الحاجة
الكبير الوالد تحية من عند الله مباركة طيبة وسلام لا يبلغ سحابة الصيبة
عرفت بفضل الله حضرة المولى الوالد فيما اشركني فيه ومن لم الله ان يسعده بسعاده
لطف عظيم امتع الله ببركة وجوده ودعائه الذي هو لنا جار على معمولة وذرية
ذرية قد نفعنا الله بها نفعا مكررا وجعل كل رشيد منها لمصالح مسخرا فمنهم
من يناضل عن نبهام الاسحار ومنهم من تقلد بحلى نعال ابد النهار ومنهم
بجل عن هم المعيشة ولو احتمه اهتمامه لكنت من اهل النار احب
الوالد والولد ادام الله نعمة عافيتهما وانهم موعد لقائهما وصلت من الى

بقاياها

من تمهاه

ومعيفة العصر الا انه تحت الالباب عند لقائه
اضحى ينام وقد تكلل خده عرقا فقلت الورد رش بماء

ابو بكر محمد ربه [illegible]

ولي واحد مثل فرخ القطا صغير تخلف قلبي لديه
نات عنه داري فيا وحشتا لذاك الشخيص وذاك الوجيه
تشوقني وتشوقته فيبكى علي وابكى عليه
لقد تعب الشوق ما بيننا فمنه الي ومني اليه

وله عندما علاه الشيب

اني نظرت الى المراة اذ جليت فانكرت مقلتاي كلما لمحت
رايت فيها شيخا لست اعرفه وكنت اعهده من قبل ذاك فتى
فقلت اين الذي بالامس كان هنا متى ترحل عن هذا المكان متى
فاستضحكت ثم قالت وهي معجبة ان الذي انكرته مقلتاك اتى
كانت سليمى تنادي يا اخي وقد صارت سليمى تنادي اليوم يا ابتا

ويوم تنشت للوداع وسلمت بعينين موصول باحنائه سحر
توهمتها الورى احتاز بها الكرى النسيم او قالت [illegible] بحر

ما اكثر التاكيز من فينا ليت شعري هذه الدنيا لمن

لاعذر للعين ان لم تجز مقلتها دمًا ولا الحشى ان لم يذب اسفا
قضى فضاقت علي الارض حين قضى ولكن ان لم يوجد بعده اشفا

لا تحسب الخال فوق وجنته نقطة مسك بدت لرائيها
وانما صح وجنته نظرت انسان مقلتي فيها

ايها الراحلون عنا وبعدوا في مطاياهم بقلبي حادي
بنتم بالفؤاد والانس والراحة والصبر والمنا والرقاد
طيب عيشي في ارضكم يوم فارقتم فهل كنتم على ميعاد
قد سكنتم من الفؤاد سويداه وكنتم من ناظري في السواد
بعض شوقي يجل عن كنه وصفي وشهيد الضمير امثال يكفي
انه في القلب مشتعل ولكن بنشيه من لحظ قلم طرفي
بكل الصعو ويا قصد وشوق الثاني يشيد جلادي وعنوك انواني
وما وقع في الهوى والبين الا ان يقول يا يا لذيذ ما هو حلو وان

وتحملت واصطبرت في البعد عن الزمان لجباء   اعلى بهذه القضية صبر لا ولو انت صخرة صماء
ولو اني اعتمد بعد غيري لقلت شتت او اموت وفاء   غير ان النصح النبي بحاف عندمن كان غيهم الايماء
وسنايك في البعاد وفي القرب مديح يحيل الشعراء   والشكر رحلت عنك والقائل بهذا قص الزمان لقاء
ليس يبقى في الدهر غير ثناء فاكتسب ما استطعت فيه الثناء

تمت رسالة ابن القيم بتاريخ ثامن عشر جمادى الاول من سنة سبع واربعين وسبعماية
الحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد واله وصحبه وسلامه وحسبنا الله ونعم الوكيل

شعر

شبان اعلى من عشاق الخرد   والذم من شرب القراح الاسود ى
واجل من رتب الملوك عليهم   وشي الحرير مطرزا بالعسجد ى
سود الدفاتر ان الكون بدونها   ابد الزمان وبرد ظل المسجد ى
فاذا هما اجتمعا لمتخرق رخ عن كل هم نال انعد مقصد ى
وعلى المفاخر كلها مترفعا   وحوى المحامد في الحياة وفي غد ى

عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى   وللمشتري دنياه بالدين اعجب
واعجب من هذين من باع دينه   بدنيا سواه فهو من ذين اعجب

قال بعض الحكماء الدنيا تطلب لثلاثة اشيا
للغنى والعز والراحة فمن قنع استغنى ومن زهد فيها عز
ومن قل سعيه استراح وقال الامام الشافعي رضي الله عنه اعز الاشياء ثلاثة
الجود من قلة والورع في خلوة وكلمة حق عند من يخاف ويرجى
انتهى